د. مصطفى محمود

Mostafa Mahmoud



نهاية الحضارة



بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف مصطفى محمود
الكتاب نهاية الحضارة
الصفحات 134 صفحة
القياس 14 x 20 سم

ردمك: 978-9947-38-095-6
الايداع القانوني: السداسي الأول 2017.

دار المجدد للنشر والتوزيع
02 نهج حفصي الطاهر (وراء الولاية)- سطيف/الجزائر
036.93.87.02 /0550.96.30.72 / 0550.96.31.07
على الفيس بوك: دار المجدد للنشر والتوزيع

رحلة مصطفى محمود

نهاية الحضارة

إعداد

إيهاب كمال

تعريف بالمؤلف

مصطفى محمود (27 ديسمبر 1921- 31 أكتوبر 2009)، فيلسوف وطبيب وكاتب مصري. هو مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، من الأشراف وينتهي نسبه إلى علي زين العابدين. توفي والده عام 1939 بعد سنوات من الشلل، درس الطب وتخرج عام 1953 وتخصَّص في الأمراض الصدرية، ولكنه تفرغ للكتابة والبحث عام 1960، تزوج عام 1961 وانتهى الزواج بالطلاق عام 1973، رزق بولدين «أمل» و«أدهم». تزوج ثانية عام 1983 من السيدة زينب حمدي وانتهى هذا الزواج أيضًا بالطلاق عام 1987.

ألف 89 كتابًا منها الكتب العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، إضافة إلى الحكايات والمسرحيات وقصص الرحلات، ويتميز أسلوبه بالجاذبية مع العمق والبساطة.

قدم الدكتور مصطفى محمود 400 حلقة من برنامجه التلفزيوني الشهير (العلم والإيمان) وأنشأ عام 1979 مسجده في القاهرة المعروف بـ«مسجد مصطفى محمود» ويتبع له ثلاثة مراكز طبية تهتم بعلاج ذوي الدخل المحدود ويقصدها الكثير من أبناء مصر نظرًا لسمعتها الطبية، وشكل قوافل للرحمة من ستة عشر طبيبًا، ويضم المركز أربعة مراصد

فلكية، ومتحفًا للجيولوجيا، يقوم عليه أساتذة متخصصون. ويضم المتحف مجموعة من الصخور الجرانيتية، والفراشات المحنطة بأشكالها المتنوعة وبعض الكائنات البحرية، والاسم الصحيح للمسجد هو «محمود» وقد سماه باسم والده.

تاريخه الفكري:

في أوائل القرن الفائت كان يتناول عدد من الشخصيات الفكرية مسألة الإلحاد، تلك الفترة التي ظهر فيها مقال لماذا أنا ملحد؟ لإسماعيل أدهم وأصدر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي، وخاض نجيب محفوظ أولى تجارب المعاناة الدينية والظمأ الروحي.. كان «مصطفى محمود» وقتها بعيدًا عن الأضواء لكنه لم يكن بعيدًا عن الموجة السائدة وقتها، تلك الموجة التي أدت به إلى أن يدخل في مراهنة عمره التي لا تزال تثير الجدل حتى الآن.

بداياته:

عاش مصطفى محمود في ميت الكرماء بجوار مسجد «المحطة» الشهير الذي يعد أحد مزارات الصوفية الشهيرة في مصر؛ مما ترك أثره الواضح على أفكاره وتوجهاته.

بدأ حياته متفوقًا في الدراسة، حتى ضربه مدرس اللغة العربية؛ فغضب وانقطع عن الدراسة مدة ثلاث سنوات إلى أن انتقل هذا المدرس

إلى مدرسة أخرى فعاد مصطفى محمود لمتابعة الدراسة. وفي منزل والده أنشأ معملاً صغيراً يصنع فيه الصابون والمبيدات الحشرية ليقتل بها الحشرات، ثم يقوم بتشريحها، وحين التحق بكلية الطب اشتُهر بـ«المشرحجي»؛ نظراً لوقوفه طوال اليوم أمام أجساد الموتى، طارحًا التساؤلات حول سر الحياة والموت وما بعدهما.

العلم والإيمان:

يروي مصطفى محمود أنه عندما عرض على التلفزيون مشروع برنامج العلم والإيمان، وافق التلفزيون راصداً 30 جنيهًا للحلقة!، وبذلك فشل المشروع منذ بدايته؛ إلا أن أحد رجال الأعمال علم بالموضوع فأنتج البرنامج على نفقته الخاصة ليصبح من أشهر البرامج التلفزيونية وأوسعها انتشاراً على الإطلاق، لا زال الجميع يذكر سهرة الإثنين الساعة التاسعة ومقدمة الناي الحزين في البرنامج وافتتاحية مصطفى محمود (أهلاً بيكم)! إلا أنه ككل الأشياء الجميلة كان لا بد من نهاية؛ للأسف هناك شخص ما أصدر قراراً برفع البرنامج من خريطة البرامج التليفزيونية!! وقال ابنه ادهم مصطفى محمود بعد ذلك إن قرار وقف البرنامج صدر من الرئاسة المصرية إلى وزير الإعلام آنذاك صفوت الشريف، بضغوط صهيونية.



المقدمة

الحضارة على طريق الانتحار

روجيه جارودي واحد من ثلاثة من أكبر شراع الماركسية، وطليعة الفكر الشيوعي في أوروبا، وعلم الفلسفة في فرنسا. . ومكافح حمل القلم والبندقية في وجه الظلم طوال حياته. .

هذا الفارس المقاتل والملاح الذي طاف البحار السبعة قد ألقى مراسيه على شاطئ الإسلام ورفع راية لا إله إلا الله. .

قصة عبور من نوع فريد. .

ولنستمع إلى الرجل يروي القصة:

كانت بداية الصحوة ذلك البيان السري الذي ألقاه خروشوف عن ستالين سنة 1956؛ ذلك البيان الذي هتك الستر عن الإرهاب والقمع والدم والإعدام والتعذيب والديكتاتورية البشعة التي مارسها ستالين ومن ورائه الحزب الشيوعي.

ثم كان غزو روسيا للمجر بالدبابات. . .

ثم اجتياح الجيش السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا. . .

ثم إرغام الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي على التخلي عن اعتراضاته عام 1969.

ثم غزو أفغانستان وإخضاع شعبها المسلم بالحديد والنار والغازات السامة . .

ويعلق جارودي بمرارة ساخرة :

هؤلاء الثوريون المزيفون الذين حاولوا تغيير كل شيء ما عدا أنفسهم . .

وهكذا انتهت علاقة جارودي بالشيوعية السوفيتية كما انتهت علاقته من قبل بالرأسمالية الأمريكية .

وكتب عن الحضارة التي تنتج . . تلك الحضارة المادية التي خلعت الله عن عرشه وأقامت الإنسان مكانه وجعلت من الإنسان إلهًا وسيدًا على الكون والطبيعة وكيف دمر الإنسان الطبيعة ولوثها بفضلاته . . وهو الآن يوشك أن يدمر نفسه . وفي تحليل دقيق حاول أن يضع يده على ثغرات هذه الحضارة .

إن النموذج السوفيتي والنموذج الأمريكي ؛ كلاهما وجهان لعملة واحدة وحضارة مادية واحدة تقدس الفرد . . وهذا التقديس أدى إلى ظهور أباطرة رأس المال والاحتكار في أمريكا ، وفي الناحية الأخرى أدى إلى النظم الشمولية والدكتاتوريات التي أصبح الفرد فيها طاغية يبتلع المجتمع كله في داخله . . وهو وإن كان يحكم باسم الحزب أو باسم الأيديولوجية فإن الظلم واحد في النهاية وإن اختلفت أسماؤه .

والعلاقات الاجتماعية في هذا اللون من الحضارة المادية واحدة ، وهي علاقات عمودية التسلسل في الاستعباد والسخرة في المجتمعات

الشيوعية أو علاقات أفقية من المنافسة والصراع في المجتمعات الرأسمالية؛ ولذا كان طابع الحياة في الاثنين هو العنف وتصادم المصالح وإرادة الهيمنة والقوة.

والاقتصاد في هذه الحضارة المادية لا يهدف إلى نمو صحي؛ بل يخدم نوعًا من النمو الوحشي هدفه مجرد تشغيل الآلة حتى ولو كانت تنتج أشياء بلا فائدة أو أشياء ضارة أو أشياء مدمرة.. وهكذا انتهى هذا النمو الوحشي إلى إنتاج القنابل الذرية والصواريخ ذوات الرؤوس النووية وإلى 650 ألف مليون دولار سلاح مقابل 50 مليونًا يموتون جوعًا، وهواء ومياه وزراعات وأرض ملوثة بالمخلفات الإشعاعية.

كيف يمكن أن نسمي هذا اللون من الحياة تقدمًا، وقد أشعلت هذه الدول المتقدمة الحروب الصغيرة في العالم الثالث، وحاصرته بالمؤامرات لتجعل منه سوق سلاح تبيع فيها فوائض إنتاجها وتجرب فيه أسلحتها الجديدة.

وتستنفد الثروات القومية لشعوب تعيش تحت مستوى الفقر، وخلقت نوعًا من الإعلان والبروباجندا والدعاية بالتليفزيون والسينما والصحف والملصقات، وسلطته على الجماهير لترويج وتزيين منتجات لا تنفع أحيانًا بل تضر، واستخدمت خداع الألوان وبريق الفن وأساليب الإيحاء لاستدراج الناس إلى هذه الفاترينة الخادعة من البضائع الاستهلاكية، وإلى حياة فارغة من التبذير السفيه بهدف

اختلاق حاجات تم إشباعها . . وكمثال . . عدد الأحد من النيويورك تايمز وهو 90% إعلانات يستهلك من الورق ما يكفي لطبع جميع الكتب المدرسية التي تحتاجها الكاميرون في عام كامل . وكل هذه الطاقة تذهب سدى في سبيل ترويج ما ينفع وما لا ينفع .

ويحكم نظام التسويق قمة من رؤوس الأموال والاحتكارات والبنوك في أمريكا . . أو استبداد بيروقراطي أعمى في روسيا . . بينما يعيش العامل في كلا النظامين في اغتراب دون هدف أو معنى كما الحيوان كل همه إشباع حاجاته . ويعيش الكل مجرد كائنات هامشية خاضعة لضرورات وصدف خارجية . . وتبدو الأحداث وكأنما هي ثمرة قوى وفاعليات عمياء متجابهة ، وتبدو الحياة مجرد عبث ولامعقول وقلق وغثيان .

أما الثقافة والفكر والفن والبرامج التعليمية ، فهي مجندة مسخرة لإعادة ترويج وتصنيع وطبع نسخ أخرى من هذه المجتمعات الفاسدة .

والمساعدات المزعومة للعالم الثالث لا تساعد ، بل تجر هذه المجتمعات وتقيدها إلى نفس العربة وإلى ذات النمط الأعلى الاستهلاكي ولذات النمو الوحشي بلا هدف ؛ والنتيجة أننا أمام نموذجين : النموذج الأمريكي والنموذج السوفيتي ، وكلاهما فاشل . . وكلاهما يجر عربة الحضارة على طريق الانتحار الكوني ، والثورات على هذه النماذج في بلادها غير

ممكنة . . فقد درجت هذه النظم على أن تحمي نفسها بأجهزة بوليسية محكمة من التجسس والتخابر .

ويمضي جارودي إلى التحليل الأعمق لأسباب فساد هذه النظم فيقول هو الفصل بين العلم والحكمة وبين الوسيلة والغاية .

فالعلم في هذه الحضارة هو علم للعلم وفن للفن وحياة لمجرد الحياة بلا معنى أو حكمة ، وكل حادثة تفسر بالقياس إلى المفاهيم السائدة بعد تفريغها من معاني الجمال والحب والإيمان .

والفرد محور كل شيء ، وإشباع الحاجات هو الهدف ثم العودة إلى إشعال الشهوات لخلق حاجات جديدة تطلب الإشباع من جديد .

والإعجاب بالنفس وبالتقدم الكمي وإهمال وإنكار التسامي والارتفاع بالنفس عن هذه الخسائس ، هو محور تفكير الأفراد والجماعات .

وتدعى هذه النظم ميراثًا مزدوجًا للحضارة الإغريقية والرومانية وللحضارة اليهودية المسيحية ، وتتناسى أثر الإسلام تمامًا ، ولا ترى في الإسلام إلا أنه مجرد مترجم وناقل للحضارة اليونانية أو مجرد بدعة ترمي المسيحية بالتحريف والشرك ، أو مجرد آثار فكرية بائدة هي في مجموعها عقبة وليست حافزًا للتقدم . وتدعى أن الإسلام فاقد للحياة ولا يستطيع أن يقدم شيئًا أو يعد بشيء . .

ويرد جارودي على هذه التهم قائلاً :

غير صحيح أن الحضارة الإسلامية وقفت عند النقل عن اليونان دون عطاء . . بدليل الاختلافات الجوهرية بين نتاج الحضارتين . . فالرياضيات اليونانية وقفت عند المتناهي بينما اعتمدت الرياضيات العربية على فكرة اللامتناهي ، كما أن أداة المعرفة عند اليونان كانت علم المنطق بينما كانت عند العرب هي العلم التجريبي .

كما نرى الفن المعماري اليوناني سكونيًا يعتمد على الخط المستقيم ، بينما نرى المسجد على العكس من ذلك سيمفونية أقواس ومنحنيات وقباب . . وكانت فلسفة اليونان فلسفة معرفة وعند العرب فلسفة عمل وفعل . . ولم يكن للحتمية المأساوية اليونانية وجود في المنظور الإسلامي المنفتح على المستقبل التواق للتغيير .

وكانت النظرة الإسلامية نظرة جامعة بين العلم والحكمة «اقرأ باسم ربك»، والمسلم ينظر إلى كل شيء على أنه آية فيها شواهد الحكمة والعناية والقدرة الإلهية ، بينما العلم في الغرب مغلق على علموية وتكنوقراطية لا هدف لها سوى الكم والمزيد من الشراء والقوة والهيمنة .

ومما يؤيد هذا الكلام أن الحضارة الأوروبية لم تبدأ من إيطاليا ، بل من إسبانيا من النموذج الإسلامي . . ولكنها للأسف لم تأخذ من هذا النموذج إلا العلم التجريبي والتكنولوجيا ، وأغفلت تمامًا القيم الإلهية التي توجه هذه الحضارة إلى خير البشرية .

رحلة مصطفى محمود
نهاية الحضارة

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فترى الإسلام الذي بدأ في مجابهة مع الفرس والروم- نراه اليوم في مجابهة مع روسيا وأمريكا . . وكما فعل في الماضي . . نراه يقدم بمقابل هذا الفشل الحضاري تصورًا راقيًا للحياة .

فالإسلام يعلمنا أنه في ضوء الإيمان بالله يبدو لكل شيء حكمة ولكل حدث غاية خيرة وإن خفيت . . ويشعر كل إنسان أن لوجوده معنى وغاية وأن لا شيء يذهب سدى ، وأن الحياة مشروع إلهي جميل وأن لكل إنسان دورًا منسجمًا مع الحركة الكونية الكلية . . وهو ما يعطى المؤمن إحساسًا بالوحدة والانتماء والاستمرار ، فالموت ليس نهاية القصة ، بل هو مجرد انتقال إلى حياة أخرى ، والإنسان مهاجر إلى الله دنيا وآخرة بلا توقف . . والله في الإطلاق والسير في الإطلاق هو طريق بلا نهاية . . وذلك هو منتهى الأمل . . وهدف المسلم ليس إشباع رغبته بل كبحها وقمعها وضبطها على قانون الحكمة الإلهية . . والحرية ليست في تسلطك على غيرك وليست في تحصيلك لمزيد من اللذة لنفسك ، بل هي في تحررك من نفسك وانقيادك لربك . . وبقدر عبوديتك لله بقدر انعتاقك من ربقة نفسك ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد : 11-13] وفي اقتحام هذه العقبة التي هي النفس يكون التحرير الحقيقي من سجن الضرورة .

ثم تتوافر الصلوات مع شروق وغروب الشمس والكواكب ، وبذلك يندرج الإنسان في النظام الكوني . . حتى حركات الصلاة نرى فيها محاكاة جميلة لما يجرى في الطبيعة ، فالمصلى يقف كما تقف الجبال ويركع وينحني

كما تنحني الأغصان إلى الأرض، ويسجد كما تسجد النجوم الغاربة لتلمس بجبهتها الأفق. . وكل المصلين نراهم يصطفون في دوائر مركزها الكعبة، ومع اختلاف التوقيت من مكان لمكان نرى في كل لحظة جبينًا يسجد وجبينًا ينهض في فيض متدفق من العبادة. . وكل شيء في الكون مسلّمٌ لله قهرًا منقاد لقوانينه بلا اختيار؛ ما عدا الإنسان الذي أسلم باختياره وتخطى الأسباب إلى مسببها ليصوغ حياته على المثال الأسمى.

ذلك العروج الذي يسمو بالإنسان ويزكي جميع ملكاته، هو منحة الإسلام للمسلم، والإنسان في الإسلام خليفة لله في الأرض؛ لمواصلة الخلق والإبداع والعمار، وإفشاء السلام والمحبة والرحمة والخير.

والعلم في الإسلام لا ينفصل عن الحكمة ولا عن الإيمان ولا عن الهدف الخير، كما لا ينفصل الدين عن السياسة ولا الدين عن الاقتصاد. . بل الكل وحدة ناشطة إلى إرساء قانون الله في الأرض.

والله هو المالك لكل شيء، والإنسان مستخلف يتصرف كأمين على خزائن سيده.

نحن هنا أمام حضارة مختلفة وإنسان مختلف. . هكذا يعلن جارودي؛ فالحضارة الأوروبية الأمريكية لا تعطينا إنسانًا بل حيوانًا تعملقت أعضاؤه، فهو يمشي على القمر بأرجل صاروخية ويسمع بآذان إدارية ويرى بعيون إلكترونية ويقتل بمخالب ذرية، لكنه حيوان ما زال واقفًا عند إشباع حاجاته وما زال واقفًا عند نفسه وهواه ورغباته لم يتخطها. . وهو ديناصور على طريق الانتحار والانقراض.

رحلة مصطفى محمود
نهاية الحضارة

أما الحضارة الإسلامية فتعطينا إنسانًا تخطى حاجاته وتجاوز رغباته، ثم بدا يعلو على ذاته نفسها، ثم بدا يعلو على الزمن ليبني المسجد ويخاطب الأزل ويناجي الأبد، ويكسر قوقعة الحتميات وينعتق من ظلمة الغرائز.

والمجتمع الإسلامي لا تجمعه العصبية ولا القبلية ولا العنصر ولا اللون ولا الأرض ولا القومية ولا الوحدة التاريخية ولا الوحدة الاقتصادية. . إنما القاسم المشترك الذي يجمع الكل هو الإيمان بالله وبالرسل وبالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله. . فهي جماعة ربانية يجمعها التسامي والرغبة في تزكية النفس والعروج إلى الحضرة الربانية، بالعمل الصالح والتخلق بمكارم الأخلاق وإدمان الخير والبر والصلاح.

نحن أمام خط سير أخذ بيد الإنسان إلى اللامتناهي. . بينما في نمط الحضارة الغربي لا نجد المستقبل إلا امتدادًا كميًا للماضي، ولا نجد الحياة إلا اكتفائية تسجن الإنسان في حدود أنانيته ومصالحه ورغباته وحاجاته.

بهذا الوضوح المبهر وبهذا المستوى العالي من الفهم يرى جارودي الإسلام من الشاطئ الآخر من البحر. . وهو يرى فيه دين المستقبل ونظام المستقبل. . ويرى فيه طوق النجاة للعالم. . وهو يرى المسلمين قادرين على حمل هذا المشعل؛ شريطة أن يفتحوا باب الاجتهاد الذي

أغلق منذ قرون ويكسروا قوقعة الجمود ويعودوا للتفاعل مع العصر ويتخطوا الحرفية السلفية إلى فهم حركي لكل المتغيرات التي جدّت على الساحة .

ذلك هو جارودي . .

حمزة الذي أقبل بسيفه من قلب القارة الأوروبية لنصرة الإسلام والمسلمين .



المغول يعودون

خبر من إيطاليا نشرته الصحف ومر مروراً عابراً دون وقفة أو تعليق ، ومع أن الخبر من سطرين إلا أن له دلالات خطيرة وبعيدة في عالمنا المضطرب الذي نعيشه . والخبر يقول إن التحقيق كشف عن أن أربعة من الوزراء في الوزارة الإيطالية كانوا أعضاء في المحفل الماسوني ، وأن الرئيس الإيطالي قد أمر بطردهم وأمر بحل الوزارة .

والخبر يعود بنا إلى خبر مماثل منذ سنوات ؛ حينما اكتشف رئيس جمهورية داهومي الإفريقية السيد كريكو أن زوجته الماسونية والمحامي بورنو يحاولان قتله والقيام بانقلاب يأتي على نظام الحكم ؛ تنفيذاً لأمر الماسونية ، يساعدهما في ذلك وزير الداخلية ، فألقي القبض عليهم وأعدمت الزوجة وأعدم الوزير ، أما بورنو فقد تظاهر بالمرض واستدعى أحد الأطباء للكشف عليه وكان ماسونيًا أيضًا ، فقرر أن حالته خطيرة وتستدعى إجراء عملية جراحية ، وكان ذلك بحضور ممثل الصليب الأحمر الدولي . . وأدخل بورنو المستشفى ؛ وبطريقة سرية هرب منها بسيارة دبلوماسية إلى مدينة لومي عاصمة توجو حيث كانت مقر الماسونية في أفريقيا ؛ ومن هناك سافر إلى أوروبا .

هكذا بكل بساطة تخون الزوجة زوجها ويخون الوزير رئيسه ويخون

الطبيب واجبه فيكذب عملاً بمبدأ الماسونية : عليكم بالدفاع عن أخيكم ولو أتى منكرًا .

ولقد صدق من قال إن الماسونية مشروع سياسي ، وإن هدفها تحطيم النظم القائمة وتهديهم الأديان والعقائد وإن تسترت خلف أسماء بريئة مثل نوادي الروتاري والليونز والبناي برث وبرج المراقبة وباشرت نشاطها كجمعيات خيرية عادية ، وإن أعلنت موقفًا ظاهرًا حياديًا عن السياسة والأديان .

ومؤسس الماسونية سنة 1748 ميلادية هو آدم وايزهاويت وهو لاهوتي ارتد عن دينه واتخذ الإلحاد عقيدة ، وأسس جماعة النورانيين وافتتح أول محفل ماسوني باسم محفل الشرق الكبير عام 1776 ، وكانت خطته تخريب النظم والعقائد عن طريق السيطرة على وسائل الإعلام وشراء الذمم بالمال والرشوة والجنس ، وإشعال الثورات تحت ستار جماعات سرية ظاهر نشاطها الخير والدعوة للفضيلة . وفي عام 1786 نشرت الحكومة البافارية الوثائق الكاملة بهذه الخطة الجهنمية تحت عنوان «الكتابات الأصلية لنظام ومذهب النورانيين» .

وقد قيل الكثير عن أن الماسونية وراء الثورة الفرنسية ، وكانت وراء الثورة الروسية ، وكانت وراء ثورة أتاتورك العلمانية في تركيا .

وأنا لا أرى داعيًا لهذه المبالغة ولا أجد مبررًا لرد كل شرور العالم إلى شيطان واحد هو آدم وايزهاويت ، ولا توجد في العالم أزمة شياطين . .

وإنما أرى أنه تيار عدمي قديم ممتد من الفكر ظهر تحت عدة أقنعة . . مرة تحت قناع الماسونية ومرة تحت قناع الشيوعية ومرة تحت قناع الفوضوية ومرة تحت قناع العبثية ، ومرة تحت قناع الفاشية ومرة تحت قناع الإقطاع البابوي الفاسد . وتيار الخوارج في الإسلام كان رافدًا قويًا من هذا التيار العدمي ، ظهر مقنعًا بقناع الدين والتشدد السلفي ، وخرجت منه طوائف الخرمية والقرامطة التي هدمت الكعبة وأعملت السيوف في رقاب الحجاج . . ومنها خرجت جماعة المهدي التي طلعت أخيرًا على الحرم بالمدافع الرشاشة . ومنها خرجت جماعة التكفير والهجرة المنبثة بطول الوطن العربي .

وكل هذه الطوائف على اختلاف مللها ونحلها وانتماءاتها تتنادى بهتافات واحدة وبعبارات متشنجة واحدة وإن اختلفت الأقنعة ، فهي مرة إسلامية ومرة مسيحية ومرة علمانية ومرة ليبرالية حرة ، ومرة مثالية فكرية ومرة ذات أشكال بريئة لجمعيات خيرية . . ولكن الخطة واحدة في الجميع وهي التهييج والتحريض وإثارة الطبقات على بعضها وتأليب الناس على بعضهم ، والنفخ في الأطماع والأحقاد والشهوات ، وتحريك الجانب المظلم والعدمي من النفس .

وفي كل منا جانب عدمي ومظلم من نفسه وعلى نفسه الأمارة التي تدعوه إلى اليأس والقنوط والانتحار ، وتسلمه إلى الشهوة والغضب وتحفزه إلى الغيرة المجنونة والانتقام الأهوج . . وهذا الجانب العدمي في

كل منا هو نصيب الشيطان وهو حظه ومدخله؛ ولهذا قال الحديث النبوي إن الشيطان يجري منا مجرى الدم . . وهو يجري في هذه القناة العدمية في كل معًا .

وحينما يظهر القادة الشياطين بعظام أمثال ماركس وهتلر وستالين ونيرون وكاليجولا تتداعي إليهم نفوس الأتباع ذوات الاستعداد الفطري لهذه الدعوات . . وهي نفوس غلبت عليها الظلمة فهي جنود الشيطان من الأزل . . وما يحدث في الدنيا إلا تحصيل حاصل لما كان في علم الله الأزلي، وإنما أراد الله بالدنيا كشف المكتوم وإخراج المخبوء في هذه النفوس . . فحينما تعوي البومة يتنادى البوم في الخرائب ويتجمعون طوائف وقبائل تحت ألف اسم واسم وتحت ألف شعار وشعار . . وما ملابس هؤلاء الأقوام وشعاراتهم ومذاهبهم المعلنة إلا مجرد أزياء تنكرية يخفون تحتها السيوف والحراب والخناجر والبارود . . فهم أبناء قبيلة واحدة وإن تسمى بعضهم بأسماء المسلمين وبعضهم بأسماء المسيحيين وبعضهم الآخر بأسماء الملاحدة . . هم رياح عدمية تهب لتحرق وتقتل وتهدم ولتشفي صدورها المريضة برؤية الدم . . فهم تتار اليوم والأمس .

وقد تختلف لغاتهم ولهجاتهم، لكن أصواتهم ذات النبرة الحادة . . وتقلص ملامحهم وتشنج قسماتهم ومدخلهم الأفعواني إلى غواية ضعاف العقول . . والغل الذي تنضح به قلوبهم سوف تكشف هويتهم فتقول لنفسك إنهم هم التتار، وشيء ما في نظرات هؤلاء الناس . .

شيء غائر أسود مثل نظرة الضب المسعور . . شيء مختلف تمامًا عن البساطة والبراءة والوضاءة في نظرات خلق الله العاديين . . هو ما تشف به نظراتهم عن الغور العدمي والظلمة الغالبة على نفوسهم . . تلك النظرات التي تبعث فيَّ الرجفة أحيانًا . . وكأني أنظر بعمق التاريخ فأرى كيف كان ينظر قابيل إلى هابيل قبل أن يهوي عليه بصخرة فيقتله . . نعم فهذا أمر قديم جدًا . . قدم التاريخ . . فهم السفاحون منذ الأزل وإنما اختلفت ذرائعهم باختلاف الأعمار والحضارات وتلونت بتلون المبادئ والشعارات . . ولكن لا جديد .

والسؤال . . أليس لهؤلاء القوم عقول تعقل وتميز .

والجواب . . بل لهم عقول أحيانًا؛ عقول عبقرية ولكنها عقول «اتجاه واحد» مثل الشوارع ذات الاتجاه الواحد في المرور . . فهي عقول أسلمت ذواتها تمامًا وسخرت مهاراتها لنفوسهم العدمية، ووضعت ذكاءها في خدمة رغباتهم الظلمانية، وكرست علمها ومنطقها لخدمة الباطل بالفكر والنظرية والعمل والتخطيط . . فأصبحت عقولاً عدمية هي الأخرى تسير في اتجاه واحد نحو الهدم وتسخر له جميع مواهبها .

أما السؤال . . كيف ننقذ الشباب من هذه التيارات الفكرية العدمية . .

فلا يوجد دواء جاهز ولا حقن ذات مفعول فوري لوقاية الشباب

وهدايته، ولا جواب سوى التربية الصحيحة في البيت والمدرسة؛ من خلال القدوة والصحيفة والكتاب ووسائل الإعلام.. التربية على تحرير العقل ورفض المسلمات ورفض الانقياد الأعمى تحت أي راية وتحت أي شعار.. ومحاربة أساليب غسيل المخ في السياسة والتربية والدين.. وإحياء الفطر السليمة وتربية الوجدان على حب الجمال وكراهية القبح وحب العدالة وكراهية الظلم، وحب النظام وكراهية الشر.. وتلك هي فطرة الله التي فطر الناس عليها.. وعلينا بإحيائها وتربيتها في البيت والمدرسة والمسجد والحياة لا أكثر.

فإذا كان الشباب موضوع هذه التربية هو من هذه القبيلة العدمية بحكم حقيقته، فلن يجدي فيه وعد ولا وعيد ولا تربية ولا إصلاح، إنما هو ممن قال الله فيهم ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 10].

فهو ممن سبق عليهم القول وغلبت عليهم شقوتهم منذ الأزل.. وهو نفس عدمية جندت روحها للهدم.. وهو من أصحاب العقول ذات الاتجاه الواحد.. ولن يصغي لك ولأحد ولن يستمع إلا لشيطانه.. ولو جندت له أرسطو لإقناعه فلن يفلح.

إنما تجدى النصيحة والتربية السليمة في الكثرة من الشباب الذين يعيشون على حرف.. بين بين.. تتعادل في نفوسهم النوازع السالبة

والموجبة.. ويعيشون في حيرة ويلتمسون المعرفة.. ويستمعون بعقول سوية ونفوس منفتحة للهداية.. ويرغبون في الحق.. أما الطائفة الأولى فهي من اختصاص الشرطة فهم لا يؤمنون إلا بنوع واحد من الحوار هو حوار المدافع الرشاشة وجدل البنادق السريعة الطلقات.

ولهم في التاريخ سجل طويل منذ آدم، ورواية تعددت فصولاً ولم يأذن الله لها بانتهاء..



ماذا فعلت المرأة بنفسها؟

نظرة على الشارع وعلى فاترينة الأزياء ومجلات الموضة وصالونات الكوافير وإعلانات الروج والمانيكير وأنواع الباروكات- سوف تشعرنا بمدى الجناية التي جنتها الحضارة المادية العصرية على عقلية المرأة، ومن الوهلة الأولى سوف نفهم أن هذه الحضارة لم تر في المرأة الآدمية إلا لعبة أو متعة لإثارة الرغبة والشهوة وإشغال الخيال . . حتى أسماء العطور .

عطر «سكاندال» بمعنى فضيحة!

هكذا أرادوا بالمرأة حينما صمموا لها الفساتين ورسموا لها الفتحات على الصدر والظهر، وحينما حزقوا لها البنطلونات وضيقوا البلوزات . . واستدرجوا المرأة من غرورها حينما قالوا لها . . ما أجمل كتفيك . . ما أروع ساقيك . . ما أكثر جاذبيتك حينما يكون كل هذا عاريًا . .

ووقعت المرأة في الفخ . . وخلعت ثوب حيائها . . وعرضت جسمها سلعة تنهشها العيون . .

وقالوا لها البيت سجن وإرضاع الأطفال تخلف وطهى الطعام بدائية . . مكانك إلى جوار زوجك في المصنع وفي الأتوبيس وفي الشارع . . وخرجت المرأة من البيت لتباشر ما تصلح له وما لا تصلح له من أعمال . . وألقت بأطفالها إلى الشغالة . . وقالوا لها جسمك ملكك

أنت حرة فيه بلا حسيب وبلا رقيب وليس لك إلا حياة واحدة وكل يوم يمضي من أيامك لن يعود . . عيشي حياتك بالطول وبالعرض . . أنفقي شبابك قبل أن ينفد واستثمري أنوثتك قبل أن تشيخ ولا تعود لها سوق . . وأسهم الفن بدوره ليروج هذا المفهوم . . أسهمت السينما والمسرح والمجلة والكتاب والتلفزيون والإذاعة والأغنية والرقصة والقصيدة . . ودخلت الغواية إلى البيوت من كل باب، وتسربت إلى العقول وتخللت الجلد، وأشعلت الخيال بسعار الشهوات وأمرضت القلوب بداء الخيانة . . وأصبحت المثل العليا في المجتمع هي أمثال مارلين مونرو وكلوديا كاردينال ولولو بريجيدا . .

وأصبحت البطلات صاحبات المجد عندنا أمثال شفيقة القبطية وبمبة كشر ومنيرة المهدية . .

وأصبحت القدوة هي زوجة هربت من بيت الزوجية .

وظنت المرأة بنفسها الشطارة والفهلوة، وظنت أنها تقدمت على أمها وجدتها حينما اختارت لنفسها هذه المسالك . . والحقيقة أنها استدرجت من حيث لا تدري، وكانت ضحية الإيحاء والاستهواء وبريق الألفاظ وخداع الفن وأجهزة الإعلام والرأي العام الموجه الذي تصنعه حضارة مادية وثنية لا تؤمن إلا باللحظة ولا تعترف إلا بلذائذ الحس . . الصنم المعبود لكل إنسان فيها هو نفسه وهواه . . والمحراب هو فاترينة البضائع الاستهلاكية، والهدف الذي من أجله يلهث هو إشباع الحاجات العاجلة . .

ترى كيف كانت نظرة الإسلام للمرأة . . الإسلام المتهم بالرجعية والتخلف والبداوة . . الإسلام الذي قالوا عنه إنه أفيون الشعوب . .

لم ينظر الإسلام للمرأة على أنها دمية أو متاع، بل نظر إليها على أنها أم ورأى فيها شريكة للرجل . . وقال عنها القرآن الكريم إنها السكن والمودة والرحمة وقرة العين . . واختار لها البيت والحجاب والرجل الواحد؛ تعظيمًا لقدرها وحفاظًا عليها.

وكانت خديجة لمحمد ﷺ أكثر من مجرد شريكة لقمة أو شريكة فراش، فقد شاركته الدعوة والرسالة، واحتضنت هموم النبوة . . وكانت الناصح والصديق والأم الرؤوم والسند المعين . .

واشتغلت المرأة بالتمريض، وصاحبت النساء أزواجهن في الغزوات . . وجلست المرأة للفقه . . وجلست لتلقي العلم . . وأنشدت الخنساء الشعر بين يدي النبي ﷺ . . وكان يستزيدها قائلاً: ايه يا خنساء . .

ولم يبح الإسلام التعدد إلا للضرورة وبشرط العدل . . وما أباح التعدد إلا إيثارًا لأن تكون المرأة زوجة ثانية بدلاً من أن تكون عشيقة؛ وهذا أكرم . .

ثم جعل القاعدة العامة في الزواج هي الزوجة الواحدة؛ لأن العدل بين النساء أمر لا يستطيعه الرجال . .

وقد عهد الإسلام إلى الرجل بأن يبني ويعمر ويفتح الأمصار ويتاجر، ولكنه عهد إلى المرأة بما هو أشرف من كل هذا؛ بحضانة الإنسان وتربيته . .

نهاية الحضارة

إن الرجل له أن يصنع أي شيء . . ولكن المرأة وحدها هي التي سوف تصنع الرجل . . وهذا غاية التكريم وغاية الشقة . هل هذا هو التخلف؟! . . أم أن التخلف الحقيقي هو أن تسير المرأة نصف عارية؛ حلمها إثارة رجل وغايتها متاع ليلة ومثلها الأعلى امرأة هلوك يقتتل حولها السكارى مثل الراحلة بمبة كشر . . .

كم خدعوك يا أخت . .

وكم استدرجوك إلى حتفك . . وخلعوك من عرشك . . وانتزعوك من جذرك . . وباعوك في أسواق النخاسة رقيقًا تثمن بقدر ما فيها من لحم . .

وأنت نصف الأمة . .

ثم إنك تربين لنا النصف الآخر . .

فأنت أمة بأسرها . .

ولا يستطيع الرجل أن يقود التطور وحده . .

ترى هل آن الأوان لتعيدي النظر . . ترى هل آن الأوان لتعرفي قدرك وتعرفي دورك . .



السؤال الأزلي

آخر ما سمعنا من أعاجيب هذا العصر، هو ما جاءت به الأخبار عن مساومات تجرى بين أطراف عربية ثمنًا لمواقف مع الحرب أو مع السلام.. سوريا تتجه للسعودية لتطلب ثمنًا لانسحابها من لبنان أربعة مليارات من الدولارات.. ومن قبل ذلك العراق يقبض من السعودية ثمنًا لحربه مع إيران.. ومن بعد ذلك إيران تطلب كذا مليار ثمنًا لتوقيع الهدنة مع العراق.. وأطراف فلسطينية تقبض من ليبيا لتلقي قنبلة هنا أو لتفجير عربية ملغومة هناك على أطراف إسرائيل.. وأطراف فلسطينية أخرى تقبض لتقتل فلسطينيين إخوة لها في النضال.

وكانت هذه الأشياء تحدث في الماضي ولكن الذي كان يُطلب كان يُطلب في استحياء وتستر، والذي كان يعطى كان يمن ويستكثر. أما اليوم فالذي يطلب يمد يده في تبجح وعلانية، والذي يعطى نراه يقدم الإتاوة ويشكر آخذها.. لأنهم يقولون اليوم إن الكل مستفيد.. الذي يأخذ والذي يعطى كلاهما محتاج إلى الآخر ومستفيد من الآخر وأن ما يدفع من أموال إنما هي أثمان زهيدة وتأمينات وأقساط ضمان؛ ليظل الحال كما هو عليه ويظل الجميع في أماكنهم.

وإسرائيل على الطرف الآخر تساوم ولكن مساومات من نوع مختلف،

فالثمن الذي تطلبه هو دائمًا مزيد من الأرض ومزيد من السلاح المتطور، ولا تدفع في مقابل ذلك إلا وعودًا على ورق أو تصريحات في الهواء.

والسبب في اختلاف استراتيجية الدفع والقبض على الناحيتين هو فارق بسيط.. أن كل العرب ينادون بالحرب ولا يريدون إلا السلام، وإسرائيل تنادي بالسلام ولا تفكر إلا في الحرب.

وكل طرف يكذب على طريقته، ولكن الذي لا يعلمه الإخوة العرب والذي يفوتهم جميعًا -أن أي أقساط مالية مهما بلغت من المليارات لن تضمن لأحدهم البقاء في مكانه ولكن أيًا منهم لن يستطيع أن يصادر على المستقبل بوديعة بنك أو شيك مضمون الدفع.. لأن الأحداث تعقدت وتشابكت وعجلة التاريخ أفلتت.. وبين طرفة عين وانتباهتها قد تنقلب المائدة على الجميع فيفتحوا أعينهم ذات صباح قريب ليجدوا أن الخريطة الجغرافية للمنطقة قد تغيرت، وأنه لم يعد لهم مكان في حاضر ولا في مستقبل.

وذلك أنه قد فاتهم منذ البداية.. أن هناك أشياء لا تُباع ولا تُشترى بالمال.. ومن هذه الأشياء.. الأمن.. فالأمن لا يُباع ولا يُشترى ولكن يؤخذ غلابًا بالقوة والهيبة.. هكذا علمتنا حوادث التاريخ وروايات الأمم وقصص الممالك..

وفي الماضي القريب كان هناك إمبراطور في جيبه سبعة آلاف مليون دولار هو الراحل شاه إيران..

ولم يستطع الشاه بكل ما في جيبه أن يشتري لحظة أمن ولا أن يجد شقه يسكنها . . وظل يرتجف من الخوف والهلع حتى لفظ أنفاسه . . فهل تعلمنا . . ؟؟

والواضح أنه لا أحد تعلم . .

وأننا ما زلنا نحاول أن نشتري المواقف بالمال . . ونشتري الأمن بالمال ونشتري المستقبل بالمال .

وإن استمرت بنا هذه الغفلة . . فإن الدور علينا يا إخوة بعد الشاه الراحل . . أقول هذا الكلام وأنا مشفق . . فإن النكبات حينما تأتي لا تأتي فرادى . . وهي تأخذ الكل جناة وأبرياء ولا تستثنى أحداً . .

﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [الأنفال : 25] . . صدق الله العظيم .

إن فتنة الخوميني لم تصب الشاه وحده وإنما أصابت عائلته ووزراءه وحزبه وجيشه وأصدقاءه والمتعاطفين معه . . ثم أصابت اليسار الإيراني وضربت مجاهدي خلق وحزب توده . . ثم أصابت المعتدلين ثم امتد شرها حتى أصاب رجال الخوميني أنفسهم ، ثم عبرت الحدود إلى العراق ثم أيقظت الفتن النائمة في البحرين والكويت والسعودية ، ووصلت إلى رحاب الكعبة وانطلق الرصاص من المآذن التي طالما تجاوبت بأجلّ الكلمات . . والقصة ما زالت مستمرة ولم تتم فصولاً . . والعرب في أقصى حالات التمزق والشتات ، وإسرائيل في أقصى حالات الصلف

والاستعلاء ، وغول الخلافات يفرق الكل شيعًا وطوائف تضرب بعضها . . والوقت يضيع في جدل فارغ . . بينما تصنع إسرائيل قنبلتها الذرية في هدوء .

وفي هذا البلاء لن يستطيع المال أن يشتري أمنًا ولا سلامًا ، ولن يضمن المال لأحد مكانه .

إن الأرض تهتز من تحت أقدامنا وغداً يفوز التنور . . فلنجتمع كما يجتمع الرجال ساعة الخطب الجلل . . ولنتفق على كلمة . .

إننا في ظروف الانقسام الحالي لا نملك التفاوض من أجل السلام . هذه حقيقة . . ولكنها حقيقة مرحلية فقط ، فالسلام ليست أكثر من هدنة بأجل . . إنه ليس حلاً . . وإنما هو مجرد تأجيل وتسويف للحل ثم تعود المشكلة فتطرح نفسها بعدوان جديد . .

ثم يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه تأجيل ولا تسويف . . حينما يقترب الحبل من رقابنا جميعًا ، ونجد أنفسنا بين خيار أن نكون أو لا نكون ولا خيار ثالثًا . إن إسرائيل التي أخذت قضمة كبيرة من الرغيف وأصبحت تتلمظ على التهام الرغيف كله .

إسرائيل اليوم تعتدي في تبجح وتغزو في استهتار ، وهي قد حولت لبنان إلى سجون ومعتقلات ، وحاصرت القرى وأحرقت محاصيل القمح وقطعت الماء والكهرباء والتموين عن الفلاحين ولا تسمح لأحد

بشربة ماء إلا بإذن . . وذكريات ما صنعته في صبرا وشاتيلا ما زالت ماثلة في الأذهان، إننا نواجه اليوم إسرائيل جديدة .

إننا نواجه روح استعلاء لن تتوقف عند حد . لقد كان رعب إسرائيل الأول هو الفلسطينيين . . والفلسطينيون اليوم يقتلون بعضهم بعضًا، وروسيا عن طريق ليبيا تشجع هذا الاستخدام الحميد للأسلحة الروسية في استنزاف دمنا إلى آخر قطرة .

لقد سقط جدار الرعب، وانشغل الفلسطيني بالفلسطيني، وانفتح الطريق أمام إسرائيل إلى العواصم العربية، وإذا كانت مفاوضات السلام اليوم هي الحل الوحيد في ظروف انقسام وشتات عربي لا يسمح بغير ذلك . . فإن الاستراتيجية العربية للمدى الطويل يجب أن تكون مختلفة . . فالحرب سوف تسعى إلينا حتى لو أجمعنا على تجنبها . .

إن شملنا الممزق المهلهل يغرى على الافتراس . . كما يغرى منظر الحملان الشاردة على عدوان الذئاب . . وإسرائيل لن تضيع الفرصة .

ونحن على شفا جرف؛ وإما أن ننجو وإما أن نهلك، وإذا كانت لنا فرصة وحيدة فباجتماعنا عصبة واحدة وكلمة واحدة، فذلك سلاحنا التاريخي المجرب الذي انتصرنا به على التتار والصليبيين من قبل . . وهو لم يخذلنا أبدًا .

والدهاء والتخطيط يغلب السلاح أحيانًا، والإيمان له فعل السحر الذي يغلب فعل التكنولوجيا . . والحق أقوى من الذرة .

ونحن كثرة وهم في إسرائيل قلة، ونحن على الحق وهم على الباطل، ونحن معنا الله وهم معهم أمريكا .

فلماذا نخذل أنفسنا بأنفسنا؟! ولماذا نضرب أعناقنا بأيدينا؟! ولماذا نترك حرب المبادئ تتحول إلى حرب أشخاص وإلى تنازع رياسات وتنازع مناصب وتنازع غرور؟! .

وإلى متى . .

إلى أن يفقد كل صاحب رياسة رياسته وكل صاحب منصب منصبه وكل صاحب أرض أرضه . .

فمتى نصحو . .

إن السلام دبلوماسية مرحلة واستراتيجية ظرف لا أكثر، فلنفهمه في حدوده، ولا نجعل منه أنشودة خلاص، فإن الخصم لا يريد لنا خلاصًا، بل هو يصافح بيد واليد الأخرى على الزناد .

وليس لنا غير هذا الاختيار إذا كان الله في لوحه المحفوظ قد أراد لنا ذات الشوكة :

﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال : 7] .

ولن يستطيع أحد أن يشتري الأمن ولو بذهب الأرض إذا كان الله قد أراد له ذات الشوكة .

والخوف لن ينجي والحذر لن يفيد، والموت يدرك الكل لو كانوا في بروج مشيدة والله قال لنا:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60].

فلا أقل من أن نعد ونستعد، وبداية العدة لن نجتمع صفا ونتوحد يدًا، فلنجتمع عليهم قبل أن يجتمعوا علينا، ولنطرح أنانيتنا وكبرياءنا وأهواءنا وخلافات قبل أن يطرحنا الله مثل الغثاء الذي لا خير فيه ويستخلف أقوامًا غيرنا.. ثم لا يكونون أمثالنا.

واقرءوا تواريخ الأمم لتروا كيف يهلك الله أقوامًا بعد أقوام ثم يستبدل غيرهم ولا يبالي.

●●●

هل يريدونها صليبية؟

منذ أن بدأت الحرب اللبنانية من سنوات وهناك أصابع خفية تدفعها لتجعلها تبدو حربًا صليبية بين المسيحي والمسلم.. ولكن الذين أرادوا لها هذا التلخيص الساذج والذين أرادوا أن يعطوها هذه الصبغة الظاهرية لم يطاوعهم الواقع ولم تسعفهم الحوادث.. رغم ما افتعلوا من قتل وذبح على الهوية ورغم ما رسموا من صلبان الدم على ظهور الضحايا.. فقد استعصت الحرب اللبنانية على هذا التفسير السطحي فالكتائب قاتلت الموارنة وكلاهما مسيحي.. ولم يكن الذين ذبحوا طوني فرنجية مسلمين بل كانوا مسيحيين، كما اقتتل الدروز والشيعة والسنة وكلهم مسلمون.. بل إن المسلم الشيعي من حزب أمل قتل المسلم الشيعي اللبناني وكلاهما مسلم ومن نفس الطائفة الشيعية.. بل إن القناصة الذين كانوا يصطادون ببنادقهم أي شبح يتحرك في مجال البصر كانوا يقتلون هذا الشبح دون أن يعرفوا دينه أو انتماءه ودون أن يروا منه إلا ظهره، وكان الأخ يقتل أخاه والأب يقتل ابنه دون أن يدري.

إن ما حدث على الساحة اللبنانية لم يكن ظاهرة دينية ولكن ظاهرة انحلالية مادية.. ظاهر تفسخ انفرط فيها شمل أمة إلى أفراد متنابذين يكاد كل فرد منهم يكون دولة مستقلة لها انتماؤها المختلف.. مجرد أفراد لا يجمعهم ولاء ولا يربطهم رابط..

وقد تعددت انتماءات هؤلاء الأفراد بعدد الدول العربية وبعدد دول المعسكر الشرقي ودول المعسكر الغربي وبعدد كل ما نعرف من مال ونحل وأحزاب، فهناك عملاء لروسيا وعملاء لأمريكا وعملاء لإيران وعملاء لليبيا وعملاء لسوريا وعملاء للعراق وعملاء للجزائر.. وقد سمحت الأغلبية الغالبة منهم لأن تؤجر لهذا أو لذاك واختفت القيم ولم تبق إلا قيمة الليرة.. وكانت هذه هي الثغرة التي تسلل منها الكل والتي دخلت منها الفتن وجيوش الاحتلال، وكانت الثغرة التي ظلت تتسع حتى أتت على هيكل البنيان اللبناني بطوائفه وأحزابه، ثم أتت على البلد من القواعد؛ لأن كل واحد باع نفسه لشيطان ولم تجد الأرض الأم من يحتضنها ومن يبكي عليها.

لم تكن الحرب اللبنانية في أي يوم من أيامها حربًا دينية أو صراعًا لاعقائدية.. وإنما كانت على العكس تمامًا ظاهرة لادينية وفتنة لاعقائدية.. وكانت الأصابع التي أشعلت الفتيل تحاول أن تفتعل بداية دينية لتشحن النفوس بالثأر وتملأ الصدور بالغل ولتسرع من عجلة تداعي الحوادث.. اختارت لافتة تثير التعصب وتؤجج الخلافات لتزرع الانقسام من البداية.

والأصابع الخفية التي فعلت هذا.. هي نفس الأصابع الخفية التي ترفع الآن سماعة التليفون بعد التفجير الدموي في بيروت لتدعى أن المسئول عن نسف مقر القيادة الأمريكية والفرنسية في بيروت هي منظمة

الجهاد الإسلامي.. ثم يدق التليفون مرة أخرى ليقول المتكلم إن المسئول هو حركة الثورة الإسلامية الحرة..

ولاحظ أيها القارئ اللبيب كيف تدفع هذه الأصابع الخفية اتجاه الحوادث إلى ناحية الإسلام في عمد وإصرار.. وتختلق أسماء منظمات إسلامية لم تسمع بها من قبل.. لتزرع الفتنة هذه المرة على اتساع رقعة العالم وتستقطب عدوان ألف مليون مسيحي على ألف مليون مسلم، وتجر دولاً كبرى ذرية ونووية إلى قلب الصراع الذي يخطط له أن يكون صليبيًا.. والذي خطط له الماكرون من البداية أن يكون صليبيًا.

مَنْ صاحب المصلحة في أن يفعل هذا.. ومن المستفيد من إيقاع المسيحي والمسلم في هذه المذبحة ليتخلص من المسيحية والإسلام بضربة واحدة.. سوى شيوعية لادينية أو إسرائيل صهيونية أو عميل يجرى في فلك أي من الاثنين.. وربما كان الاثنان وجهًا لعملة واحدة..

لقد وقعت أوروبا المسيحية ومثلها إنجلترا وأمريكا في الشَرَك الصهيوني، وتعاطفت مع إسرائيل بالمال والسلاح والتأييد السياسي.. وأصدر بابا الفاتيكان المسيحي وثيقة يبرئ فيها اليهود من دم المسيح.. اليهود الذين تقول كتبهم إن المسيح دجال وإن مريم حملت به سفاحًا.. كان هذا تاريخ أوروبا المسيحية مع اليهود.

وكان أولى بأوروبا المسيحية وإنجلترا وأمريكا والفاتيكان وبابا روما أن يضعوا أيديهم في يد الإسلام الذي يبرئ مريم العذراء البتول والذي يقول

عن المسيح إنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه . . كان ذلك أولى بهم وهم أهل مودة وبيننا وبينهم رحم . . ولكن الصهيونية نجحت في بذر الكراهية للإسلام في القلوب ؛ بالكتب والنشرات والدعايات الكاذبة وانخدعت أوروبا . . كما خدعها اليهود من قبل وجروها إلى الحرب الصليبية الماضية وساقوها مدججة بالسلاح إلى بيت المقدس .

وها هم أولاء يعاودون الكرة ويخططون لحرب صليبية ثانية . . ويريدونها هذه المرة حربًا ذرية نووية لا تبقى ولا تذر ، ويجرون دولاً كبرى إلى مصارعها .

ألا ترى إسرائيل تساند إيران بالسلاح ؛ ليتسع الخرق أكثر وأكثر وليستنزف المال العربي والمنطقة العربية والبترول العربي .

ألا تراهم وراء تفتيت لبنان إلى دويلات صغيرة من الشيعة والدروز والموارنة .

إلا تراهم يخططون لتفتيت مصر إلى دويلة إسلامية ودويلة قبطية .

ألا يفطن الكبار أمثال ريجان وميتران وغيرهما لما يُراد بهم ولما يحفره الصغار الماكرون تحت أقدامهم . . أم أن التاريخ سوف يعيد نفسه دون أن يأخذ أحد العبرة ويفهم الدرس .

إن إسرائيل تدرك أنها لن تستطيع أن تعيش في الجسم العربي إلا إذا كان هذا الجسم مريضًا منهكًا مفككًا فاقد المقاومة فاقد الوعي . . وأنها

لا حياة لها إذا استرد هذا الجسم صحته .

إذن لتظل نار الفتن مشتعلة . . .

ولتظل المعارك في كل مكان . . .

وإذا بدأت النار تخبو فلا بد من النفخ فيها . . .

وإذا هدأت تلقى فيها بالمتفجرات . . .

إن السلام والاستقرار معناهما نهاية إسرائيل ، فلتشتعل المعارك ليس في العالم العربي وحده بل في العالم كله على اتساعه ، يتخبط في الحروب ولا يفيق من أزمة حتى يقع في أزمة .

والصهيونية في يدها مفاتيح بورصة الدولار والاسترليني والفرنك والمارك . . وفي يدهم دور النشر وأجهزة الإعلام وبيوت الموضة وبيوت الإنتاج السينمائي ، وهم خير من يستطيع أن يصنع الأزمات ويثير الحروب وينشر الفتن ويغوى الشباب بمتاهات الفن المضل . . ووصايا التلمود في كتبهم تأمرهم بهذا . . أن يتخذوا من العالم كله دابتهم وركوبتهم . . فهم الجنس المختار الذي قدر له أن يقود العالم كله وهم يكيدون كيدًا . . وهذا دأبهم في طول التاريخ وما زالوا يكيدون كيدًا ويمكرون الليل والنهار لا يفترون ، فهل يصحو العالم ويفيق ويدرك المكيدة ؟ ! .

●●●

من فضلكم اخلعوا الأقنعة

أخطر أسلحة القرن العشرين . . الاختراع رقم واحد الذي غير مسار التاريخ . . هو جهاز الإعلام . . الكلمة . . الأزميل الذي يشكل العقول . . أنهار الصحف التي تغسل أمخاخ القراء . . اللافتات واليفط والشعارات . . التي تقود المظاهرات . . التليفزيون الذي يفرغ نفوس المشاهدين من محتوياتها ثم يعود فيملؤها من جديد بكل ما هو خفيف وتافه .

وأخطر ما في سلاح الكلمة أنها دائمًا ذات وجهين وأنها توزن بمكيالين . . روسيا أقامت الدنيا وأقعدتها حينما غزت أمريكا فيتنام ، وارتفع صوت الأبواق من موسكو ومن ورائها كتائب اليسار في كل بلد من شواطئ الأطلنطي إلى الهادئ تحتج على الظلم والقهر والاستعمار وإهدار الحريات ، وتحركت المسيرات ونظمت الإضرابات ، وارتفعت اللافتات وامتلأت الصحف بالهجوم على أمريكا والإشادة بنضال فيتنام الباسل الأسطوري ، وحينما داست الدبابات السوفيتية أرض المجر . . وحينما احتل الجيش السوفيتي تشيكوسلوفاكيا . . وحينما استولت روسيا على أفغانستان بالغزو العسكري السافر سكتت أبواق اليسار وأصابها الصمم والبكم . . ولم تتيقظ هذه الأقلام من سباتها العميق إلا حينما نزل جنود المظلات الأمريكان على جزيرة جرانادا ، فعادت البرافدا

تستصرخ العالم على العدوان الأمريكي على الحريات وعلى الشعب الأعزل في جرانادا وهو لا يزيد على بضعة آلاف على رقعة أصغر من طنطا ، ونسيت الأقلام وتناست ما جرى وما يجرى من قتل وتشريد الملايين من مسلمي أفغانستان وإحراقهم بالنابالم ، والقضاء عليهم بالغازات السامة وإتلاف مزروعاتهم وماشيتهم بالمبيدات . . .

وكأنما للحرية وجهان وللموت مكيالان؟

واليوم ترى أوروبا الغربية تقوم قيامة رجل واحد وتكتسح الشوارع بالمظاهرات والإضرابات والهتافات ، محتجة على نشر الصواريخ الأمريكية ، وتردد هتاف موسكو على السلام المهدد الجريح ، بينما تنشر روسيا صواريخها النووية في أوروبا الشرقية دون أن تتحرك مظاهرة واحدة ودون أن يسمع هتاف واحد على السلام المجني عليه .

وكأنما للسلام معنى روسي غير المعنى الأمريكي . . ويحلو لأصحابنا الشيوعيين أن يتغنوا دائمًا بشرف الكلمة . . وما فقدت الكلمة شرفها إلا على أيديهم . . ولا أبرئ الأمريكان فهم أسوأ ، ولم نعرف من تغني بالديمقراطية مثلهم . . بل هم يحتلون جرانادا باسم الديمقراطية ويحتلون فيتنام باسم الدفاع عن الديمقراطية ويرابطون في لبنان باسم الدفاع عن الديمقراطية . . ومع ذلك فهم وراء كل انقلاب عسكري وخلف كل حكومة فاشية تذبح الديمقراطية حتى النخاع .

إن الرؤية من جانب اليمين مثلها مثل الرؤية من جانب اليسار نصف

عمياء . . فكل واحد لا يرى من ناحيته إلا هواه ومصلحته ولا يبصر إلا وجه الكلمة الذي يناسبه . . وهو يرفع لافتة كاذبة ويروج شعاراً مزيفًا، فلا يوجد إلا حق واحد ذو معنى واحد، وليس على يسار الحق إلا الباطل كما أنه ليس على يمينه إلا الباطل، الحق واحد وليس له جانبان . . والحرية واحدة وليس لها معنيان . . ولكن الأجهزة الإعلامية ذات الصوت العالي الجهير تفرغ عقول الناس ثم تعود فتملؤها بما تريد، وتزاول أخطر أنواع الدعارة وهي ما أسميه الدعارة بالكلمة والزنى بالمعاني والتنويم المغناطيسي بالحروف.

ألا تجلس أمريكا وروسيا على مائدة واحدة في مفاوضات لنزع السلاح وكل منهما في نفس الوقت يبيع السلاح أكداسًا إلى الفرقاء والخصماء في بلادنا لتتقاتل حتى الموت، وفي المواجهة السوفيتية الأمريكية في كل بقعة من العالم من هم القتلى؟! إنهم الكوبيون في جرانادا والصوماليون في الأوجادين والأحباش في إريتريا واليمنيون في عدن والوطنيون في نيكاراجوا والأفريقيون في أنجولا.

إنهم يدجلون علينا بالكلمات، ونحن الذين نموت مخدوعين بهذا العسل الإعلامي المسموم؟

وذلك هو عصر التجارة بالكلمات والتخدير بالشعارات والتنويم المغناطيسي بالعبارات، وقيادة الشعوب المختلفة إلى مصارعها بهذا الحداء

الساحر الذي يغازل الآذان بما تحب وتعشق؛ فيضعون لنا السم في تلك العبوات الجميلة التي اسمها الحرية . . والعدالة . . والمساواة ويتغنون بها في أسماعنا حتى ننام عليها؛ ثم يذبحوننا ذبح الشياه.

وذلك هو ﴿ زُخْرُفَ الْقَوْلِ ﴾ الذي ذكره الله في قرآنه فقال يصف هذه الطغمة الماكرة التي تلعب بالعقول: ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: 112].

لقد بات ضروريًا أن يضع كل منا مرشحًا على أذنه ومرشحًا آخر على عينيه؛ ليرشح كل ما يسمع وكل ما يرى، وليغربل المشاهد والأقوال، وبات ضروريًا أن يقيم أكشاك الحراسة على كل مدخل حراسة، ويحول عقله من قارئ إلى ناقد، وبات ضروريًا ألا نستمع إلى أي شيء في استسلام وحسن نية، بل نصغي إليه في شك وارتياب وتحسّب . . إذا صرخت الأحزاب الشيوعية منادية بالحرية في شوارع روما ولندن وباريس ونيويورك . . قلنا لهم: ولماذا ترفضون نفس الحرية إذا نادى بها العمال في بولندا . . ولماذا تعتقلون ليخ فاليسيا؟! ولماذا تغلقون نقابات التضامن في جدانسك؟! ولماذا ضربتم دوبتشك في تشيكوسلوفاكيا ودخلتم عليه بالدبابات والمصفحات وأسكتم صوته وخنقتم صراخ الحرية في فمه؟! . .

هل الحرية حلال إذا كانت لكم وحرام إذا كانت عليكم؟! هل هي حرب حريات أم هي حرب مصالح؟! لماذا لا تخلعون أقنعة النفاق

والتدليس وتكفون عن خداع الشباب وتقولونها صريحة إنها صراع دول كبرى وتنازع سلطة وقتال خرتيت روسي مع خرتيت أمريكي لا مبدأ فيه ولا أخلاق؟!.

لماذا لا تقولون إنها مافيا تطلق على بعضها الرصاص ولا ناقة لنا فيها ولا جمل.. ولكن أحدًا لن يستجيب.. ولن نجد من يتكلم بصراحة.. وإنما شعار اليوم هو الكلمات الملثمة.. كل كلمة تلبس ظاهرًا مزخرفًا غير باطنها.. وكل وجه يرتدي قناعًا، وكل خنجر مسموم يخفي نفسه داخل قفاز حريري معطر.

ونحن العرب.. دائمًا الهدف، ومنطقتنا الملتهبة هي الساحة ورقعة الشطرنج، وثرواتنا هي المطمع.. فهل نفيق.. ونصحو.. ونسترد وعينا؟، أم نعود لنشرب ونسكر على أغاني الحرية وأناشيد العدالة التي عتقت لنا في دنان موسكو وواشنطن؟ ثم ننطلق نتظاهر ونهتف ولا ندرك أنهم هم الذين وضعوا الكلمات في أفواهنا وأننا مخمورون مخدرون ننفذ لهم مخططاتهم دون أن ندري؟!.. ونظن أننا نقود.. ونحن مقودون.. ونحسب أنفسنا أصدقاء لهم ونحن لهم عبيد مسخرون.

هل نفكر قليلاً.. ونتردد قليلاً.. قبل أن نلعب اللعبة القادمة القاتلة على رقعة الشطرنج..؟؟ أم نترك أيديهم تلعبها لنا كالمعتاد كل مرة؟!.

●●●

عالم يسير إلى التوحش

ما هو أكثر شيء يسعدك في هذه الدنيا..؟ المال.. الجاه.. النساء.. الحب.. الشهرة.. السلطة.. تصفيق الآخرين.. إذا كنت جعلت سعادتك في هذه الأشياء فقد استودعت قلبك الأيدي التي تخون وتغدر، وائتمنت عليها الشفاه التي تنافق وتتلون، إذا جعلت من المال مصدر سعادتك فقد جعلتها في ما لا يدوم، فالمال ينفد وبورصة الذهب والدولار لا تثبت على حال، وإذا جعلت سعادتك في الجاه والسلطان.. فالسلطان كما علمنا التاريخ كالأسد أنت اليوم راكبه وغدًا أنت مأكوله.

وإذا جعلت سعادتك في تصفيق الآخرين؛ فالآخرون يغيرون آراءهم كل يوم. لقد وضعت كل رصيدك في بنك القلق، وألقيت بنفسك إلى عالم الوحشة والغربة، واستضفت راحة بالك على الأرصفة، ونزلت في فنادق قطّاع الطرق.. ولن يهدأ لك بال ولن تعرف طعم الراحة ولن تعرف أمنًا ولا أمانًا ولن تذوق للطمأنينة طعمًا حتى آخر يوم في حياتك؛ لأنك أعطيت أثمن ما تملك.. أعطيت روحك لعالم الفرقة والشتات ورهنت همك واهتمامك بعائد اللحظة، وعلقت قلبك بكل ما هو عابر زائل متقلب، وأسلمت وجدانك بنهشة وحش الوقت.

وإذا جعلت سعادتك في حب امرأة.. فأين هي المرأة التي لم تتغير.. وأين هو القلب الذي لم يتقلّب.. أين نجد هذا القلب إلا في الخيال.. في

دواوين الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون والذين هم في كل واد يهيمون . . سبعون ألف نبي في تقدير بعض العارفين عبروا هذه الأرض وبلّغوا أقوامهم نفس الشيء وأعادوا عليهم نفس الدرس ورددوا نفس الكلمات . . والناس ما زالوا على حالهم ؛ لا يرى الواحد منهم أبعد من لحظته ، ما زالوا على جاهليتهم الأولى يتدافعون بالمناكب على نفس الخسائس .

يرون حاصد الموت يحصد الرقاب من حولهم ولا يعتبرون . . بل هم اليوم أكثر نهمًا وأكثر تهالكًا وأكثر تهافتًا على اللاشيء .

ويقول لهم القرآن الكريم . . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؛ في أنفسهم وأقرب إليهم من حبل الوريد . غاية الغايات ومنتهى الأرب وقبلة المقاصد ومهوى الأفئدة ومتعلق جميع المعارف .

الحق بذاته . . الله سبحانه وتعالى بنوره الأقدس . . الرحاب الأبهى وشميم الجنة ورفيف الملائكة في نفوسهم . . أقرب إليهم من حبل الوريد . . أقرب إلى الواحد منهم من نطقه يقول الله للعارف الرباني (ليس بيني وبينك بين) إلى هذا المدى من القرب . . وإلى هذا المدى من اللطف . . يبلغ إيناس الرب لعبده . . ولا غرابة ألا تصبر النفس الإنسانية قابلة لتجليات الأسماء الإلهية ، ليصبح الواحد منا رؤوفًا رحيمًا ودودًا كريمًا حليمًا عفوًا سميعًا بصيرًا عليمًا .

إلى هذا المدى يستوى الرحمن على عرش سماواتنا الداخلية ويكاشفنا بأنه أقرب إلينا من حبل الوريد . . وهو من هو . . جامع

الكمالات على إطلاقها . . ثم نتولى عنه معرضين ، نتدافع بالأكتاف ونتسابق بالمناكب خلف كل زائل وتافه ونتكلم عن الحب . . وفي عمق نفوسنا من أولى بالحب كل الحب . . بل واهب الحب لكل محب ومحبوب وسر الحب في كل محب ومحبوب . . بل عين القيمة في كل ما هو قيّم . . وعين الجمال في كل ما هو جميل . . نتولى معرضين نجرى خلف بريق اللحظات ونتشتت ونتوزع وتتجاذبنا الغوايات ونتمزق إلى شتات ونموت في وحشة وغربة ومحصولنا مما جمعناه صفر .

والله أقام شريعته غيرة علينا وعلى ما أودع فينا من روحه ورحمته بنا حتى لا نضيع ، والشيطان يحاول أن يحجبنا عن هذا الثراء الداخلي حسدًا وحقدًا على ما فضلنا الله به . . ونحن نختار صحبة العدو على الصديق ، ونستمع إلى العدو ولا نلتفت إلى الصديق ، ونلازم العدو ونهجر الصديق ، وما أكثر ما قتل الأقوام من أنبيائهم وأهل الغفلة من شهدائهم ، وعالمنا أشد في جاهليته وأعتى في ماديته من كل ما مضى من عوالم﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : 21]، في داخلنا الشاطئ والمواساة وبر الأمان . . سند الضمان فينا . . لسنا في حاجة إلى التأمين على حياتنا في بنك خارجي ، لا داعي لكل هذا ، اللهاث المجنون على الجمع والتملك والاكتناز . . فلن نزداد بذلك أمنًا .

لا داعي لكل هذا السباق والقتل على السلطة فلن نزداد بذلك قوة . .

اطمئن قلبًا أيها المؤمن ، وأعرض عن هذه الغابة التي يتعارك فيها الكل

بالمخلب والناب، قل كلمتك والزم معرفتك واعمل على شاكلتك وخض البحر فلن تبتل، واعبر أرض الغربة والوحشة فلن تستوحش فلست وحدك، فالله معك.. وأينما كنت فهو معك...

لا تقف مع الواقفين أمام فاترينة المال والجاه والنساء الباهرات واللعب والشهوة والسلطة وسائر غوايات الدنيا، فأنت غني بما في داخلك عن كل هذا.

لا يكن مبلغ همك أن تحب هذه وتلك، وإنما ليكن همك مجموعًا على الله إلهك؛ محبوبًا مطلقًا ودائمًا وأبدًا؟

وحسبك من المرأة التي تختارها المودة والرحمة وحسن المعاشرة.. تعلق القلب لا يصح إلا لواحد، وانشغال الهمة لا يجوز إلا لواحد هو الله وحده جامع الكمالات.

إنما جعل عرش القلب ليستوي الرب عليه، وليس لهذه المرأة أو تلك، الصبابة لا تليق بالعارف الكامل.. وبهو الملك حق للملك وحده وليس لأي عابر سبيل، والله هو أغنى الشركاء عن الشرك، وحق على من عرفه حق معرفته ألا يعبد غيره، ألست تقطعه فيصلك وتكفره فيرزقك وتعصيه فيغفر لك وتهجره فيتودد إليك؟.. وهو من هو المتعال ذو الجلال والكمال.. فأين هو في علوه من هذه وتلك.. ألا يكفيك أن بابه مفتوح أبدًا وعفوه عليك دائمًا؟ ألا يحرك ذلك

كوامن الشوق فيك.. ألا يثير فيك من الوجد ما لا تثيره هذه وتلك من أشباح ترابية فانية...

ألا تعود فتنظر حولك ببصيرة..

وتنظر في داخلك بإلهام.. قبل أن يجرفك التيار إلى عالم الوحشة وإلى البحر الطامي الذي يتخبطه الشيطان من المس...

ألا تغريك هذه الكلمات بلحظة تأمل وبوقفة مع النفس تعيد فيها النظر؟!.



ويبدأ العد التنازلي

فيما يلي الخطاب الحرفي الذي ألقاه الحاخام عمانويل رابينوفتش أمام المؤتمر الاستثنائي للجنة الطوارئ لحاخامي أوروبا الذي عقد في بودابست 12 كانون عام 1952 .

تحية لكم يا أبنائي . . لقد استدعيتكم إلى هذا الاجتماع الخاص لإطلاعكم على الخطوط الرئيسية لمنهاجنا الجديد ؛ وهو المنهاج المتعلق بالحرب المقبلة كما تعلمون والتي كان مخططنا الأصلي يقضي بإرجائها عشرين عامًا ؛ حتى نتمكن خلال ذلك من تدعيم مكاسبنا التي حصلنا عليها نتيجة الحرب العالمية الثانية ، ولكن ازدياد تعدادنا الذي يثير المعارضة في بعض المناطق يجعل لزامًا علينا أن نستعمل جميع الوسائل التي في حوزتنا لإشعال حرب عالمية ثالثة في مدى قريب .

يجب أن أبلغكم أن الهدف الذي ما زلنا نعمل من أجله منذ ثلاثة آلاف عام قد أصبح في متناول يدنا الآن ، وقد دنت الثمرة مما يدعونا لمضاعفة الجهد ومضاعفة الحذر ، وأستطيع أن أعدكم أنه لن تمر عشر سنوات حتى يأخذ شعبنا مكانه الحقيقي في العالم ، ويصبح كل يهودي ملكًا وكل جوييم عبدًا (الجوييم هم الشعوب الأخرى من غير اليهود) .

«إنكم لا تزالون تذكرون نجاح حملاتنا الدعائية التي أثرناها خلال الثلاثينيات ، والتي خلقت شعورًا معاديًا للأمريكيين في ألمانيا ، وشعورًا

بالكراهية الشديدة للألمان عند الأمريكيين ، وتعلمون أن هذه الحملات أعطت ثمارها بقيام الحرب العالمية الثانية ، أما الآن فهناك حملة مماثلة نشنها بقوة عبر العالم ، فنحن نثير الخوف من الزحف الشيوعي في أمريكا ، ونثير العداء لأمريكا عند الروس ، كما ندعم المؤسسة العسكرية في الناحيتين ، ونساعد على تراكم السلاح في الجبهتين . . وهذه الحملة ستجبر الدول الصغيرة على الاختيار بين أن تصبح حليفة لروسيا أو حليفة لأمريكا ، وسنحرص على أن يكون صوتنا في الكونجرس الأمريكي مع سياسة التهديد المتواصل بالحرب . .

ونعود إلى كلمات الحاخام عمانويل رابينوفتش «إن الشعب الروسي والشعوب الآسيوية تحت سيطرتنا ، ولكننا يجب أن ننتظر حتى تصبح لنا مثل هذه السيطرة في أمريكا . . ونحن نأمل تحقيق هدفنا باستعمال قضية العداء للسامية كما فعلنا في ألمانيا ، كما نستعمل المجلات والصحف والكتب والإذاعة والسينما والمسرح وجميع الفنون ووسائل الإعلام التي تحت أيدينا . . ولا خوف من ظهور الوعي المضاد عند الشباب ؛ فإن الشباب يمكننا إغراقه بالمخدرات والجنس واللهو والفن الداعر والأفكار المتطرفة ، ويمكننا تمزيقه وتشتيته في المتاهات الخلافية فلا يعود يجتمع اثنان على رأي . . ثم نضرب الطبقات بعضها ببعض ونثير الفقير على الغني والخادم على مخدومه والمرؤوس على رئيسه ، ونثير الفتن بين الدول ونوسّع شقة الخلاف بينها ، ونثير الخوف عند كل طرف من الآخر .

وفي خلال سنوات قليلة سيحقق منهاجنا هذا أغراضه، وتقوم الحرب العالمية الثالثة التي ستفوق في دمارها جميع الحروب السابقة، وستكون إسرائيل بالطبع بلداً محايداً حتى إذا تم تدمير وإهلاك الطرفين المتحاربين، سنقوم نحن بعملية التحكم والرقابة على بقايا أشلاء جميع الدول، وستكون هذه الحرب معركتنا الأخيرة في صراعنا التاريخي ضد الجوييم.

سؤال من أحد الحاخامين الحاضرين. . «أرجو من الحاخام رابينوفتش أن يحدثنا عن مصير الأديان المختلفة» بعد الحرب العالمية الثالثة.

- رابينوفتش: لن تكون هناك أديان بعد الحرب العالمية الثالثة كما لن يكون هناك دين، فإن وجود الأديان ورجال الدين خطر دائم علينا، وهو أمر كفيل بالقضاء على سيادتنا المقبلة على العالم؛ لأن القوة التي تبعثها الأديان في نفوس المؤمنين بها وخاصة الإيمان بحياة أخرى بعد الموت يجعلهم يقفون في وجهنا، بيد أننا سنحتفظ من الأديان بالشعائر الخارجية فقط للدين اليهودي؛ وذلك لغاية واحدة هي الحفاظ على الرباط الذي يجمع أفراد شعبنا، دون أن يتزوجوا من غير سلالتهم أو أن يزوجوا بناتهم لأجنبي.

وقد نحتاج في سبيل هدفنا النهائي إلى تكرار نفس العملية المؤلمة التي قمنا بها أيام هتلر. . أي أننا قد نسمح بوقوع بعض حوادث الاضطهاد ضد مجموعات أو أفراد من شعبنا؛ لنحصل بذلك على الحجج الكافية

التي تبرر محاكمة وقتل القادة في أمريكا وروسيا كمجرمي حرب وذلك بعد أن نكون قد فرضنا شروط السلام. .

وحتى تستيقنوا من قدرتنا على السيطرة على العالم، انظروا إلى اختراعات الرجل الأبيض كيف حولناها إلى سلاح خطير ضده؛ فالراديو والمطبعة والكتاب والصحيفة أصبحت اليوم أسلحتنا نحن ضده؛ كما أن مصانع الأسلحة الثقيلة ترسل الأسلحة إلى آسيا وأفريقيا لتحارب شعوبها الرجل الأبيض نفسه صانع هذه الأسلحة. . ونحن ما زلنا نشعل الفتن في أفريقيا السوداء لتنقلب على نفسها وعليه.

وبهذه الرؤية؛ فالنصر النهائي يتوهج أمام أعينكم. عودوا إلى مناطقكم وباشروا العمل بجد ودون هوادة حتى يحل اليوم الذي تكشف فيه إسرائيل عن مهمتها الحقيقية، وهي أن تكون النور الذي يضيء العالم.

هذا هو الخطاب الخطير والمثير للحاخام رابينوفتش. . وهو بعض ما أورده المؤلف وليم جاي كار من وثائق في كتابه أحجار على رقعة الشطرنج، وقد وقعت هذه الوثائق في يده حينما كان يعمل قائداً للأسطول الكندي، وكانت المخابرات البحرية الكندية تابعة له (وقد قتل المؤلف بعد نشر الكتاب في حادث غامض).

والوثيقة تكشف عن الدور المستمر الخطير للصهيونية في إشعال الفتن، وفي تفريق العالم إلى جبهات، ثم تأجيج العداوة بين هذه الجبهات.

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة : 64].

والآية القرآنية تشير صراحة إلى أن عملية إشعال الحروب مستمرة منذ بدء التاريخ. . ويقول الحاخام رابينوفتش إن هذا أمر قديم منذ ثلاثة آلاف سنة، ولا مانع في سبيل ذلك من أن يشجعوا على الشيء ويشجعوا على نقيضه في نفس الوقت، فهم يساعدون الإمبريالية وهم في نفس الوقت يساعدون الشيوعية (وقد أودعت مؤسسة كوهين لوب مبلغ خمسين مليونًا من الدولارات تحت تصرف لينين وتروتسكي في بنوك السويد)، ولا غرابة في ذلك ولا عجب؛ فقد رأينا في بلادنا المليونير اليهودي هنري كوريل ينفق أمواله على الخلايا الشيوعية في مصر.

إنهم وهم عمالقة الرأسمالية نراهم يخلقون ويساندون الجبهة الشيوعية المضادة ثم يدفعون بالجبهتين في أتون. . فالحرب هي الغاية القصوى وليست المبادئ. . لأن الحرب سوف تعطيهم كل شيء.

ولنفهم هذه اللعبة نعود بذاكرة القارئ إلى معركة ووترلو كمثال؛ لنرى ما استطاع روتشلد أن يغنمه من معركة واحدة. . فحينما رأى الدائرة تدور على نابليون أطلق الحمام الزاجل إلى إنجلترا بخبر كاذب أن إنجلترا انهزمت؛ مما أدى إلى انكسار الجنيه الاسترليني وهبوطه الحاد إلى ما قيمته شلن واحد، ثم أسرع إلى إنجلترا ليشتري كل ما أمكن أن يجمعه من ملايين الاسترليني بسعر التراب. . لينتظر ظهور الخبر الحقيقي وهو انتصار إنجلترا على نابليون ثم يعود ليبيع التراب الذي اشتراه بسعر

الذهب، وعندما مات ناتان عام 1836 كان قد سيطر على مصرف إنجلترا تمامًا وبلغ القرض القومي الإنجليزي 885 مليون جنيه. . ولكل قرض فوائد. . وليست تلك هي فوائد الحرب الوحيدة. . فإن الحرب تنهب جميع الأطراف الغالبة والمغلوبة وتخرب الذمم وتفسد الضمائر وتنشر الإرهاب.

والمؤلف يقول بالوثائق إنهم كانوا وراء جميع الثورات والحروب. . الحرب العالمية الأولى والثانية والثورة الفرنسية وثورة أتاتورك والحرب الأهلية الإسبانية وانقلاب كرمويل في إنجلترا. . كما يقول إنهم يستعملون المحافل الماسونية في التغلغل إلى جميع شرائح المجتمع؛ ليضعوا أيديهم على جميع المراكز الحساسة، وأنهم يستعملون المال والنساء والمخدرات والسم والقتل والغدر والابتزاز والتهديد بالفضيحة، ولا يتورعون عن أي وسيلة توصلهم إلى هدفهم. .

إن المؤلف يقول إنهم ليسوا كل اليهود. . فأكثر اليهود من العميان الذين تقودهم هذه القلة. . والمؤلف نفسه يهودي من هذه الكثرة التي كانت عمياء، ثم فتح عينيه شيئًا فشيئًا على هذه المؤامرة المفزعة التي تحاك للعالم، وقد دفع حياته ثمنًا لهذه المعرفة المحظورة. .

إنهم قلة من العقول الشيطانية بلغوا غاية العبقرية في جمع المال وفي تحريكه للشر وللسيطرة ولإثارة الفتن والحروب، وهم يهود ولكن في حقيقة الأمر لا دين لهم ولا معبود لهم إلا نفوسهم وإلا حلمهم المجنون

بأن يحكموا العالم . . وهم بضع مئات ولكنهم يضعون أيديهم على منابع الثروة وعلى منافذ السلطة وعلى منصات صنع القرار، ولهم عملاء ومرتزقة وأتباع عميان بلا عدد يتفانون في خدمتهم ويموتون من أجلهم . . وروتشلد هو واحد منهم وهم يعملون في الخفاء من وراء الكواليس ولا يظهرون على المسرح .

إن ما يفعله يهود اليوم . . كان يفعله يهود الأمس بإثارة الفتنة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام . . ثم بعد الإسلام تآمروا على محمد عليه الصلاة والسلام، وجمعوا كل القبائل ضده في غزوة الأحزاب ومن قبلها غزوات أخرى، ولكن ما حدث أنهم فشلوا في كثير مما خططوا له اليوم .

فشلوا بالأمس في غزوة الأحزاب وفي غيرها، كما أن الثورة الفرنسية فشلت وثورة كرومويل في إنجلترا فشلت، كما فشلت الحرب الأهلية الإسبانية التي أثاروها لقلب النظام الإسباني إلى شيوعية .

ومع ذلك فالتآمر مستمر . . بل إنه يتسارع إلى ذروته . . والمسرح العالمي الذي احتشد بالصواريخ والأقمار الصناعية والعتاد الذري أضحى لا يحتمل عود ثقاب واحد .

وفي ظني أنهم قد بدأوا العد التنازلي . . وأنهم بسبيلهم لإشعال فتيل الكارثة، وأذكر تلك الفقرات من الحوار الذي أدلى به الثائر الشيوعي كاباليروا أثناء الحرب الأهلية الإسبانية وأثناء ما كان معتقلاً في زنزانته . . وكان ذلك في عام 1936 . . كان الرجل يقول في غرور عجيب . .

سنحصل على 265 مقعداً وسنغير النظام تغييراً شاملاً . . .

إنك ترى من خلال القضبان حاكم إسبانيا القادم . . لقد أعلن لينين أن إسبانيا ستكون الدولة السوفيتية الثانية في أوروبا وستتحقق نبوءته هذه وسأكون أنا لينين الثاني الذي سيقوم بتحقيق هذه النبوءة .

يجب أن ندمر إسبانيا حتى تصبح لنا . . وفي يوم الانتقام لن نترك حجراً على حجر . . إن أفضل الثوريين كما قال لينين هو شاب متحرر من المبادئ الأخلاقية . . .

كان هذا في عام 1936 . . .

وقد دخلت إسبانيا في ليل طويل من العنف والمجازر وإراقة الدم والتعذيب وبتر الأعضاء والاغتصاب والإحراق . . ومرت عليها سنوات أشد ظلاماً مما تمر به لبنان اليوم، ولكن المؤامرة فشلت وتدلى رأس كاباليرو من المشنقة . . .

إن التاريخ لا يجري دائماً بما يشتهي المتآمرون . . .

ألا يقول لنا الله :

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: 15-17].

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30].

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 54].

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : 50].

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد : 42]. . .

فلنكن مع خير الماكرين يدًا واحدة ولا نتفرق، ونعد من العدة ما استطعنا، ولا نضمر الشر لأحد، ولا نتطرف في عداء إنسان. . ثم لا نبالي على أي وجه جاء الطوفان.

إنهم يجتمعون ليتآمروا فلماذا لا نجتمع لنتفق.

إن لهم مكرهم السيئ. . فلماذا لا يكون لنا مكرنا الخير.

إنهم يعملون الليل والنهار فلماذا ننام متكاسلين متواكلين الليل والنهار.

إن لهم علمهم. . فلماذا لا يكون لنا علمنا.

إننا أغنى الأمم بالأعداد البشرية وبكنوز الطاقة وبالثروات المعدنية وبالخبرات والمهارات، ولا عذر لنا في شيء. . .

فلنع دورنا ولنبدأ العمل قبل أن تبدأ الزلزلة.

الأكفان ليس لها جيوب:

تعالوا معًا نقرأ بعض التراث اليهودي ولنتوقف لحظة أمام هذه الصفحات من التلمود والبروتوكولات:

- «تذكروا أن الشعب الذي لا يهلك غيره يهلك نفسه».

- «يجب أن نخلق الجيل الذي لا يخجل من كشف عورته» (وقد فعلوها في السينما وقلدناهم).
- «الجماهير عمياء فاشتروها بالمال وسوقوها كالبهائم إلى أهدافكم».
- «سيطروا على الانتخابات ووسائل الإعلام والصحافة» (وهم قد سيطروا عليها بالمال والجنس والمرأة في الغرب الرأسمالي وبالحرب والسلطة في العالم الاشتراكي).
- «ادفعوا الجماهير العمياء إلى الثورة وسلموهم مقاليد الحكم ليحكموا في غوغائية وغباء» (وقد فعلوا هذه في الثورة الفرنسية) وحينئذ نأتي نحن ونعدمهم فنكون منقذين للعالم (وقد أعدموهم جميعًا من روبسبير إلى ميرابو).
- «ارفعوا شعار الحرية واهدموا بها الأخلاق والأسرة والقومية، ارفعوا شعار العلم واهدموا به الدين. . ارفعوا شعار الأممية واهدموا به الوطنية».
- الذي يعرقل مؤامراتكم أوقعوه في مآزق مالية ثم تقدموا لإنقاذه (وقد فعلها دزرائيلي في الخديوي واستولى على القنال) أو سارعوا إلى اغتياله (وقد فعلوها بكنيدي) ثم اقتلوا قاتله لتدفنوا أسرارنا معه إلى الأبد «وقد فعلوها بقاتل كنيدي».
- «كل ما عدا اليهود حيوانات ناطقة سخرها الله لخدمة اليهود، وحلال

على اليهود غشها ونقض عهودها وأكل الربا منها، وحلف الأيمان الكاذبة لها وشهادة الزور عليها».

- «أشعلوا الحروب بين الشعوب وأججوا الفتن، واضربوا الدول بعضها ببعض؛ فبهذا يصبح جميع المتحاربين في حاجة إلى أموالنا فنفرض عليهم شروطنا».

وهم يرون في لاهوتهم أن الله واحد ولكنهم يحتكرونه لأنفسهم، فلا عمل له إلا الحفاظ على إسرائيل، وتسخير جميع الشعوب لخدمتها.

وهم لا يؤمنون بآخرة وقد شطبوا كل ما جاء عن الآخرة في التوراة.. والقيامة عندهم هي قيامة دولتهم في فلسطين، والبعث بعثها والنشر نشرها، ويوم الحساب هو اليوم الذي يحاسبون فيه جميع الأمم يوم يعود المسيح، ليكون لهم ملكًا ويباركهم ويختارهم نوابًا له في حكم العالم وإقامة ملكوت الله على الأرض. ويحدث هذا بعد معركة كبرى فاصلة يكون فيها فناء كل الحكومات الشيطانية (هي الحرب العالمية الثالثة التي يترقبونها) ويسمونها في أسفارهم واقعة هرمجدون؛ إشارة إلى ما جاء في سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي عن هذه الحرب الخاتمة (لاحظ الشبكة الجاسوسية الأخيرة التي اكتشفت واسمها شبكة هرمجدون).

ولا خلود للنفس البشرية عند اليهود، بل هي تموت بموت الجسد، ونفس الإنسان هي شخصه ولا بقاء لهذه الشخصية إلا في الدنيا.

أما خلود النفس فهو عندهم من بقايا تعاليم بابل الزانية ولا يليق بيهودي مستنير أن يؤمن به.

وهم يلقون بغلالة من الأسرار والطلاسم والكتمان والغموض على كل شيء.. والكبالا والسحر وعلم الأعداد والحروف وتسخير الشياطين من علومهم التي شغفوا بها وروجوها، وكانت وسيلتهم إلى هدم الكتب السماوية هي تفسيرها بالتأويل؛ وذلك برفض المعاني الظاهرة واختراع معان باطنة تهدم الغرض الديني وتفسد هدفه.

ودأبوا على إثارة القضايا الخلافية لتشكيك الناس في دينهم، مثال: هل الإنسان مسير أم مخير؟ هل القرآن الكريم قديم أو مخلوق وحادث (الفتنة التي أثارها اليهودي لبيد بن الأعصم).. ؟ لماذا خلق الله آدم من تراب ولم يخلقه من ذهب..؟ لماذا أبواب جهنم سبعة..؟ كيف استوى الله على العرش..؟ ماذا يكون حكم الله في أطفال الكفار الذين يموتون في المهد..؟ لماذا خلق الله الشيطان؟ لماذا خلق لنا المعدة وأمرنا بالصيام؟

ولقد خرج منهم من قال بألوهية علي بن أبي طالب «عبد الله بن سبأ» ورأينا أثر التوجيه اليهودي في الفلسفات العبثية والعدمية والمادية والوجودية.

(سارتر وفرويد وماركس وماركوز كلهم يهود)، ورأينا أثر الفكر اليهودي في الديانة البهائية، وتلتقط العين سطورًا عديدة في كتب البهائية

تؤكد هذا الأثر؛ مثال: رسالة عبد البهاء هي توحيد المسلمين والنصارى واليهود وجمعهم على أصل نواميس موسى، عمل موسى لا يساويه عمل في التاريخ، وسوف يأتي يوم لا يجد الناس كتابًا ينقذهم إلا نواميس موسى، ومجيء بهاء الله في البهائية هو تعمير أورشليم حيث يستقبل مرفأ حيفا ألوفًا من الرجال والنساء.

وقد أبطل عبد البهاء شريعة الجهاد الإسلامية واعتبرها منسوخة، ولماذا يريد البهائيون أن يضع المسلمون أسلحتهم.. ولمصلحة من..؟

وهل كانت الماسونية برموزها وطلاسمها إلا التراث اليهودي بعينه، وماذا تعني رموز ماسونية مثل.. الهيكل والمذبح وقدس الأقداس والعمودان (رمز موسى وهارون) وكلمات عبرية من التوراة، وتقديم كأس الزيت في حفل التكريس الماسوني، وهي تشير إلى قصة مردخاي ويهوديت وتذكار صلح ملوك إسرائيل. وتناول الفطير في الهيكل بين العمودين تذكار لعيد الفطير اليهودي، ونثر حبوب القمح وهي الرد على الرومان الذين هدموا الهيكل ونثروا عليه الملح.

وما يردده الماسوني من المزامير 72 -95 -133: ترنمت بالندى المنازل على حرمون كانا نازل على لحية هارون، وراية قادوش «القدس» التي ترتفع في الهيكل. ونقام نقام «الانتقام».

***

وإذا فتحنا كتب التاريخ بعد انكسار الإسلام في إسبانيا وعودة

المسيحية إلى الأندلس، رأينا اليهود يهاجرون أرتالاً فرارًا من اضطهاد الفرنجة متجهين إلى المملكة العثمانية، وهناك يعيشون في تركيا تحت اسم الدونمة، ويقول عنهم إسحاق بن زل الرئيس السابق لإسرائيل: هؤلاء الدونمة عاشوا في تركيا بوجه ظاهري مسلم وبحقيقة باطنة يهودية، وكان منهم الوزراء والنواب والمدرسون بالجامعة وشيوخ الفقه والتفسير والتصوف.

وكان هؤلاء الدونمة نواة حزب الاتحاد والترقي الذي صنع كمال أتاتورك ودفع به إلى الثورة الثقافية التي غيرت الوجه الإسلامي لتركيا، واستبدلت الحرب اللاتيني بالحرف العربي والعلمانية بالدين، وحينما افتتح أتاتورك «حفيد مزراحي» البرلمان التركي عام 1933 قال قولته الشهيرة: «نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون» فصفق له الدونمة ورددوا مع شاعرهم فاروق نافذ: سلمنا البلاد لأيدي أتاتورك الأمينة وتركنا الكعبة للغرب!

تلك كانت صفحات من التاريخ عبرت وانتهت..

ولكن هل انتهت حقًا... أم أن المسلمين غيروا ملابسهم وراء الكواليس وغيروا أسماءهم وبدلوا أدوارهم..؟ وأزيحت الستار لتشهد نفس التآمر القديم بمشاهد جديدة وشخوص جديدة وأبطال جدد أكثر مكرًا وأكثر دهاء وأكثر تنوعًا في السلاح والعدة والعدد.

وما زلنا كما كنا في قلب الصراع، بل في أتونه الفوار، بل هو يتسارع

بنا إلى واقعة هرمجدون وإلى الحرب الخاتمة التي يخططون لها: للقضاء على جميع الأنظمة والحكومات التي أسموها بالحكومات الشيطانية ليسلم لهم كل شيء في النهاية.

ألا يقول لهم الرب في التوراة: جميع لبنان أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل.. من البرية ولبنان، من النهر الكبير نهر الفرات إلى البحر تكون تخومكم.

ثم ألا نراهم يستجيبون بكل همة وجد لهذا الرب الدموي الإمبريالي، فيبنون كل يوم مستوطنة في الضفة وينهبون كل ساعة أرضًا جديدة في جنوب لبنان. ألا نراهم وراء الفن المخنث الداعر والديسكو المجنون والسينما العارية. وكيف نفسر تلك الضجة الإعلامية الهائلة خلف ولد مخنث يلبس ملابس النساء ويغني ويصرخ ويتشنج مثل مايكل جاكسون، إن لم يكن إفسادًا متعمدًا للذوق ودفعًا للشباب إلى حالة من الجنون واللوثة القردية.. ومن قبل مايكل جاكسون الكثير من الفقاعات التي تنفخ فيها الدعاية حتى تنفجر وتتلاشى؛ فيتبعونها بفقاعة أخرى، وهكذا تظل عقول.. الشباب معلقة بهذه الدوامات من العبث حتى تستنفد طاقاتها.

وهل هي ظاهرة طبيعية أن تتحول كبريات صحف لندن إلى الجنس والعهر والفحش والفضائح والجرائم والصور العارية والمراهنات واليانصيب، وتتنافس على إثارة الشباب بأحط الوسائل.. تلك الصحافة التي اشتهرت بالوقار والاتزان والرصانة؟!..

أهي ظواهر بريئة أم أن هناك من يمسك بخيوط هذه الأراجوزات ويلهو بها ويحاول أن يلهو بأشرف طاقات هذا العالم. وإذا كان هذا هو الفن فماذا كانت ملاحم هوميروس ومسرحيات سوفوكليس وكوميديات شكسبير.. وإذا كانت هذه الإيقاعات الفردية هي الموسيقى فماذا كانت سيمفونيات بيتهوفن ومعزوفات شوبان وموزار؟

وهل جاء انحطاط الفن الذي نشهده اليوم حادثًا تلقائيًا أم هو حصاد الفساد والإفساد والتسوس البطيء في البنية الوجدانية للعالم؟

مجرد سؤال؟

وليفكر الواحد منكم مرتين قبل أن يركن إلى حسن الظن.. ألم نسمع بالأمس صوت الحاخام كاهان يصرخ في إسرائيل: احرقوا المسجد الأقصى واطردوا العرب؟!. هذا واحد منهم يعلن ما أخفوه وهو عضو بالكنيست وإن كانوا يتبرؤون منه..

إن ما أعلنه مائير كاهان هو ما أضمرته وسعت إليه محافل الماسون وشروق باريس ولندن ونيويورك وسويسرا وفروعها، وأخواتها شهود يهوه وبرج المراقبة وبناي برث ومحافل البهائية في تل أبيب وشيكاغو.. وهو صوت التلمود والبروتوكولات، وهو حلم بناء الهيكل وارتفاع راية قادوش.. وهذا يعني هدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة والقيامة وما حولها من كنائس وأديرة ومساجد ومدارس وأوقاف، وإخلاءها من كل نسمة عربية.. ليرتفع الهيكل على مساحة 25 فدانًا كما يخططون.

ألم تأت اللحظة التي نعيد فيها حساباتنا وننظر إلى ما يجرى حولنا ببصيرة أكثر عمقًا؟ إن الحوادث لا تتحرك فرادى ولا تسير منفصلة وإن بدت في الظاهر منفصلة، والتاريخ يفسر بعضه وهو حلقات تسلم كل حلقة للأخرى، والإفساد لم ينقطع منذ أيام يعقوب منذ أن تآمر الإخوة على أخيهم يوسف وألقوا به في الجب ومنذ أن قتلوا زكريا ويحيى وتآمروا على عيسى.. والعرض مستمر لم يتوقف.. ولكنه اليوم يجري على مساحة العالم كله، ويستخدم وسائل جهنمية كالتليفزيون والسينما والإذاعة والصحيفة والكتاب، ويتآمر من وراء الكواليس ويثير الأزمات من خلال بورصة الدولار والذهب والبترول، ويملك تجويع الشعوب من خلال مخزون القمح، ويدس السم في الماء والهواء والخبز اليومي الذي نسمعه.

***

ونحن جميعًا دول هذه المنطقة مربوطون بخيط واحد، وسوف نغرق معًا أو ننجو معًا، ولن تنفع دولة ثروتها ولا دولة أخرى عسكرها إن لم يتكامل الجميع معًا في بنيان مرصوص يشد بعضه بعضًا.

ونحن اليوم موضوع هذا المكر العالمي وهدفه.

والذين أخلدوا إلى حضن دولة كبرى وظنوا أنهم في أمان، نذكرهم بالشاه الذي كان ينام آمنًا في حضن أمريكا.. ونذكرهم بأفغانستان التي اختارت الأمان في حضن السوفييت.

يا سادة! نحن في عالم بلا مبادئ وبلا ضمير.. لا شيء سوى مصالح تتبدل كل لحظة وقوى شرسة تتصارع بالمخلب والناب، وعصابات مافيا تنهب وتقتل، وعقول تتآمر وتخطط، وحضن أمريكا لا يصلح لأن يكون ملجأ ولا حضن السوفييت. الحصن الحصين الوحيد هو أن يختار الواحد منا الحق ويموت عليه فلا ملجأ من الله إلا إليه.. وهذا علم قديم.. علمه لنا الأنبياء في هذه المنطقة المباركة من العالم، ونحن أهل هذه العلوم وأهل هذه الحكمة، ونحن أولى الناس باتباعها؛ فلنصح من هذا الإغماء ولنجتمع.. ولنتحدث.. ولنتدبر.. ولنتفق ولنطرح عنا خلافاتنا ولننسق مواقفنا. يا سادة ارتفعوا إلى مستوى المأساة وانظروا إلى الهوة التي تتسع تحت أقدامكم وتفغر فاها لتكون قبرًا لكم جميعًا ولأولادكم.

لقد أغرقونا في حرب الخليج وفي خلافات مذهبية وشخصية لننسى ما يدبر لنا، وفرقونا شيعًا وطوائف لينشغل كل واحد بنفسه، وانحدروا بالفن ليصبح لهوًا وإفسادًا وانحلالاً، ودخانًا للتعمية، وغمروا سوق الشباب بالمخدرات وأشرطة الفيديو العارية.. وجعلوا من النقود لعنة لمن يملكها ومن الثروة فتنة مهلكة لمن يرثها.

***

ولو علم كل منا أن نقوده لن تنفعه وأن الأكفان التي سيسافر بها رحلته الأخيرة ليس لها جيوب، وأنه لن يصحب إلا عمله.. لأدرك أن الجانب

الرابع لهو جانب الحق، ولو اجتمعت بذلك كل الأيدي على الهدف الواحد لذابت الخلافات واختفت العصبيات وفشلت المؤامرات.

ولا يظن أحدكم أني أدق طبول الحرب وأدعو إلى القتال الفوري.. فذلك هو ما تحلم به إسرائيل.. أن نحاربها بغير عدة وبغير اتفاق وبغير كلمة موحدة، وتلك هي خطتهم أن يوقعوا العالم في حروب عالمية وحروب محلية، وأن يلقوا به إلى فوضى شاملة.. فالفوضى هي مناخهم المفضل وهي اصلح مناخ يعملون من خلاله.. أما السلام فهو عدوهم. فالسلام يكشف البناء الإسرائيلي المفتعل ويظهر التناقضات الباطنة بداخله ويقطع عنه شرايين المعونة، ويبطل حجة الأمن الكاذبة، ويقلب موازين التعداد داخل تل أبيب ذاتها إلى أغلبية عربية وأقلية يهودية محاصرة بلا حرب، ويهدم الاقتصاد الإسرائيلي القائم على التسول.. وإنما أقول إن الحل يا إخوة هو اتخاذ وضع استعداد.. وضع يقظة.. وضع انتباه من حالة الغفلة والترهل الذهني والخمول والتبلد الذي تغط فيه المنطقة.. مائدة مستديرة نجلس عليها ونخطط لسنوات خمس؛ تكاملاً اقتصاديًا وتكاملاً عسكريًا، ونبني قوة رادعة ترغم إسرائيل على الانكماش داخل حدودها، ونضعها أمام الاختيار الصعب بين سلام يقتلها من الداخل أو حرب ندخلها ونحن مستعدون لنقضي عليها من الخارج.

إن الصراع العربي الإسرائيلي يجب أن يتجاوز مرحلة الاندفاع

والتهور والهتافات والحماسة العنترية الفارغة إلى مرحلة الصبر والتخطيط والدهاء والمكر واللعب بكفاءة بأوراق السياسة والاقتصاد، وتحريك الرأي العام العالمي والرأي العام العربي؛ بإعلام ذكي متطور وبناء القوة الذاتية كل يوم وكل لحظة، ومحاصرة عناصر التخريب وفضحها.

إن العمل الجماعي الفوري والمتحضر هو الحل.. فلننهض يا إخوة قبل أن يفوت الأوان، وقبل أن يأتي مستقبل يتبرأ منا ويأتي تاريخ ينكرنا جميعًا.

●●●

الخروج

كانت الجنة التي وعدت بها الماركسية وبشر بها الرفاق وتغنى بها لينين . . أن السعداء الذين طبقوا الشيوعية وأقاموا دكتاتورية البروليتاريا وخلعوا الملكيات وأمموا الصناعات وأسلموا مقاليدهم للحزب سوف ينعمون بالوفرة والرخاء، وسوف يتدفق بين أيديهم الإنتاج فيأخذ كل واحد حسب حاجته ويعمل كل واحد حسب طاقته، وتجرى أنهار الخمر والعسل وتمتلئ بحيرات الحليب وترتفع جبال الزبد، ويشبع الجائع وينعم المحتاج . . ولكن ما جرى أمامنا على خريطة التاريخ كان العكس . .

وبعد خمسين سنة من الكدح الشيوعي في روسيا السوفيتية نقرأ اليوم عن كارثة القمح وتدهور المحاصيل في المزارع التعاونية، وحاجة روسيا إلى القمح الأمريكي . . وفي بولنده يعلن الخراب الاقتصادي عن نفسه وترتفع لافتات الإضراب، وتمد الحكومة أيديها تطلب المعونة من الغرب . . وفي ألمانيا الشرقية يحاول هونيكر أن يقفز على سور برلين إلى ألمانيا الغربية أملاً في معونة تخفف عنه خناق الأزمة الاقتصادية . . وفي إثيوبيا الماركسية يموت مائة ألف بالمجاعة بسبب الجفاف، ويعجز النظام عن مواجهة الكارثة فيصرخ طالبًا المعونة من المجموعة الأوروبية . . وفي فرنسا يلقى ميتران الشيوعي القديم برداثه الماركسي، ويتخلى عن قناعاته القديمة . . ويخرج وزراءه الشيوعيين ويأتي بالمليونير البورجوازي

فابيوس على رأس وزارته، ويقود سفينة الحكم إلى بحار اليمين، وفي الصين يحاكمون أبطال الثورة الثقافية ويلقون بهم في السجون، ويعلن النظام عهدًا جديدًا من الانفتاح . . وفي إنجلترا تحطم مسز تاتشر جميع الأطر الاشتراكية وتقود السياسة إلى يمين متطرف وتواجه إضرابات عمال الفحم بصلابة لا تلين .

لقد انهزم الفكر اليساري في جميع معاقله وخلع الرفاق شاراتهم الحمراء، وسمعنا عن زعماء شيوعيين مثل جارودي خلعوا الملة الشيوعية كلها ونبذوها، وقبل جارودي مفكرون كبار أمثال ريتشارد رايت وستيفن سبندر ولويس فيشر وأجنازيو سيلوني وأندريه جيد وأرثر كسلر - كانوا ماركسيين ثم نبذوا الماركسية وانقلبوا ضدها .

وهكذا رأينا غروب الفكر الماركسي، ورأينا أفول المذهب الذي زعم أنه سوف يغير التاريخ؛ فغيره التاريخ . . ولم تعد له أرجل يمشي عليها ولا قدرة ذاتية ينتشر بها . . ولم تبق له وسيلة سوى انتشار القوة العسكرية السافرة . .

وهكذا انتهى الفكر الشيوعي إلى استعمار غاشم واحتلال دموي؛ كذلك الذي نراه في أفغانستان .

وفي الكتاب الذي صدر في فرنسا أخيرًا للمؤلف جيل بيرو عن نشأة المنظمات الشيوعية في مصر، يروى المؤلف وقائع مفصلة عن الطليعة

التقدمية التي قامت على أكتافها الحركة الشيوعية المصرية. . ويذكر هذه الطليعة بالاسم. .

فمن كانوا. . ؟؟

إنهم الآتي أسماؤهم:

هنرى كوريبل. . روزيت كوريبل. . مارسيل إسرائيل. هليل شفارتز. . ديدار روسانوا. . إيميه. . سيتون. . ريمون اسطنبولي. . جوزيف هازان. . شحاته هارون. . جوماتالون. .

ولكنهم يهود!!

تلك حقائق حفظتها ذمة التاريخ. .

وبعض الدول العربية اعتبرت هذا التاريخ ذريعة وحجة ومبرراً للارتماء في حضن أمريكا؛ باعتبار أن النظام الأمريكي هو النظام الأمثل، وهو الأمل في الخلاص من الشيوعية وهو الجنة الأخرى على الضفة اليمنى من الأرض.

وقد نسى هؤلاء أن موقف النظامين السوفيتي والأمريكي لا يختلف كثيراً بالنسبة لهذه البقعة المباركة التي اسمها الشرق الأوسط والتي نعيش فيها؛ فاليهود الذين تكتلوا وراء نشر المانفستو الشيوعي وترويجه نجدهم بلحمهم ودمهم يتكتلون في دهاليز الكونجرس الأمريكي باسم اللوبي الصهيوني. . ونرى وعد بلفور الذي ولد في إنجلترا تتبناه أمريكا ثم نجد

روسيا أول المعترفين بإسرائيل. . ونرى فرنسا ثالث ثلاثة في الغزوة الشرسة التي شنتها إنجلترا وإسرائيل في حرب السويس. . ونسمع ريجان يصرخ بأعلى صوته أن استراتيجية أمريكا هي استراتيجية إسرائيل، ونراه يقدم الضمانات لتظل ترسانة السلاح في إسرائيل أقوى من أسلحة الدول العربية مجتمعة. . وذلك هو تاريخ المعسكر الآخر الذي تصوره البعض جنة وملاذاً وملجأ.

والحقيقة أن المنطقة نهب للمؤامرات من الجانبين. تقرأ في صحف أمريكا وإنجلترا تحريضاً للمسيحي على المسلم في بلادنا، ونقرأ في المنشورات الشيوعية تحريضاً للفقير على الغني، ونرى مخابرات الجانبين تمول حركات التطرف الديني لهدم الدين من داخله وإشعال الحرب الأهلية في المنطقة. .

ألا تمول جميع الأطراف النظام الإيراني ضد العراق، ثم نرى هذه الأطراف جميعها تمول النظام العراقي ضد إيران.

إن شواهد الواقع تدين النظامين. . والاستقطاب للمعسكر الشرقي هو سقوط في الفخ بمثل ما يكون الاستقطاب للمعسكر الغربي. . ولا حل سوى الخروج من فخ الاستقطاب لأي من النظامين وكسر طوق التبعية والفكاك من ذل الاحتياج.

والسؤال.. وماذا بعد..

البعض يقول نغلق الباب على أنفسنا، وما عندنا من ثروات وكنوز في المنطقة العربية يكفل لنا اكتفاء ذاتياً، واتحادنا يغنينا عن الروسي

والأمريكي والإنجليزي والفرنسي والألماني، وعقيدتنا فيها الغنى عن كل الفلسفات والثقافات.

وأقول ليس معنى الخروج من الاستقطاب هو الدخول في قوقعتنا الذاتية. . فضلاً على أن الوحدة العربية والتكامل الاقتصادي ما زال في نطاق الأحلام ولا يمكن أن نبني عليهما استراتيجية أو ورقة عمل فوري.

بل أطالب بفتح الجسور على حضارة جديدة فتية صاعدة مثل اليابان والصين، وأتفق مع الدكتور أنور عبد الملك في دعوته إلى إقامة الحوار مع هذا الجانب من العالم.

وسوف نجد هناك حاجتنا من التكنولوجيا المتطورة، وسوف نجد سياسة أكثر حياداً بالنسبة لقضايانا، وسوف نؤسس علاقات مفيدة.

ولا أعني بذلك أي تبعية أو انضواء. . بل مجرد فتح الجسور وإقامة الحوار وتربية الوشائج وتنمية المصالح، وبمثل ما أقمنا الحوار وفتحنا الجسور مع ميتران وتاتشر وهلموت كول وباقي المجموعة الأوروبية، وبمثل ما نفعل مع دول عدم الانحياز.

لا بد من فتح النوافذ وتهوية الغرفة التي تجمّع فيها دخان المؤامرات وضباب الفتن والتي يريدون أن يجعلوا منها مقبرة لأجيالنا القادمة.

إن محور اليابان والصين الذي سوف ينمو في السنوات القادمة ليس محوراً أيديولوجيا؛ فهو يجمع برين النقيضين: الرأسمالية والشيوعية. . وإنما هو محور حضاري ينمو في الجانب الآخر من العالم ليرد على محور

روسيا وأمريكا. . وفتح الجسور مع هذا المحور سوف يخفف من القبضة الروسية الأمريكية، وسوف يجعل كل طرف يعيد النظر في مواقفه ويعيد ترتيب أوراقه.

إن الدول لا تعرف أي لغة سوى لغة المصالح، ولن تجد أي جانب يفتح لك ذراعيه إلا خوفًا منك أو طمعًا فيك؛ أو تحسبًا لمنافع محتملة في مستقبل قريب أو بعيد.

ولا غنى لليابان عن بترول العرب وإيران كما أنه لا غنى لها عن أسواق الشرق الأوسط وأسواق الصين. . ونحن بدورنا لا غنى لنا عن مصدر للتكنولوجيا المتطورة، ولا غنى لنا عن الثقل السياسي لمجموعة اليابان والصين ودول الشرق الأقصى.

والمنطقة العربية بحكم موقعها المتوسط بين ثلاث قارات؛ وبحكم ثرواتها وبحكم حضارتها سوف تصبح الجوهرة اليتيمة التي يطلبها الكل ويخطب ودها الكل ويتقاتل عليها الكل، ويتآمر عليها الكل.

والتعامل بفن وبحياد مع جميع الجبهات وفتح النوافذ على جميع الجيران، وحوار المصلحة مع جميع مراكز القوة الحاضرة والمستقبلة. . ومحور الصين واليابان سوف يكون أخطرها جميعًا هو استراتيجيتنا الجديدة.

لقد انتهت مرحلة الاستقطاب الروسي والأمريكي واستنفدت أغراضها، وأصبحت عبئًا ومعوقًا للحركة. . وتغيرت لوحة الشطرنج مما يستدعي منهجًا جديدًا للتعامل مع المستقبل، وعلينا أن نتحرك بسرعة فالحوادث تتلاحق وأعداؤنا يعلمون هذا، وهم يدفعون بمؤامراتهم ليكسبوا الوقت.

الواقع الكذاب

ما نراه في الواقع ليس دائمًا هو الحقيقة . .

حتى ما نراه رأي العين ونلمسه لمس اليد . .

فنحن نرى الشمس بأعيننا تدور كل يوم حول الأرض، ومع ذلك فالحقيقة أن العكس هو الصحيح؛ فالأرض هي التي تدور حول الشمس.

ونحن نرى القمر في السماء أكبر الكواكب حجمًا، مع أنه أصغرها حجمًا.

ونحن نلمس الحديد فنشعر بأنه صلب متدامج، مع أنه في الحقيقة عبارة عن ذرات منثورة في فراغ مخلخل، وبين الذرة والذرة كما بين نجوم السماء بعدًا. . وما يخيل لنا باللمس أنه صلابة وتدامج هو في الحقيقة قوى الجذب المغناطيسي الكهربائي بين الذرة والذرة. . نحن نلمس القوانين بأصابعنا وليس الحديد.

ونحن ننظر إلى السماء على أنها فوق، والأرض على أنها تحت، مع أنه لا يوجد فوق ولا تحت. . والسماء تحيط بالأرض من كل جوانبها.

والهرم بالنسبة لنا شيء لا يمكن اختراقه، مع أنه بالنسبة للأشعة الكونية شفاف كلوح الزجاج، ترى من خلاله وتنفذ من خلاله.

وصقيع القطبين الذي نظن أنه غاية في البرودة هو بالنسبة لبرودة أعماق الفضاء جحيم ملتهب.

وفي الحقائق الإنسانية تكذب علينا العين واللسان والأذن أكثر وأكثر. . فالقبلة التي تصورناها في البداية مشروع حب نكتشف في النهاية أنها كانت مشروع سرقة.

وجريمة القتل التي أحس الجميع بأنها ذروة الكراهية يكتشف الجميع أنها ذروة الحب.

وما قد يبدو للزوج أنه خيانة من زوجته لفرط إحساسها بجمالها قد يكون الدافع الحقيقي له هو إحساس الزوجة بقبحها وشعورها بالنقص، تحاول الخلاص منه باستدراج إعجاب الرجال، والانتقال من خيانة إلى أخرى.

وما تكتب عنه الجرائد بالإجماع على أنه بطولة قد يعلم البطل نفسه أنه كان انتحارًا.

وفي الحقائق الاجتماعية تتعقد الأمور أكثر، ويغرق الحق في شبكة من التزييف تشترك فيها كل الإرادات، ويصبح الحكم على الأمور بظاهرها سذاجة لا حد لها.

وفي الحقائق التاريخية يكتب المؤرخون في كل عصر ومن ورائهم السلطة، وتكتب أقلامهم ما يريد الأقوياء أن يقولوا.

وما أصعب الوصول إلى الحقيقة . .

إن الوصول إلى المريخ أسهل من الوصول إلى حقيقة أكيدة عن حياة وردة تتفتح كل يوم عند نافذتك . . بل إن الوصول إلى أبعد نجم في متاهات الفضاء أسهل من الوصول إلى حقيقة ما يهمس في قلب امرأة على بعد شبر منك .

بل إن عقولنا تزين علينا حتى عواطفنا نفسها ، فنظن أن حب المجد يدفعنا والحقيقة أنه الغرور وحب الذات . . ونظن أن العدالة هي التي تدفعنا إلى القسوة في حين أن الذي يدفعنا هو الحسد والحقد .

من الذي يستطيع أن يقول . . لقد أدركت الحقيقة؟

من الذي يجرؤ أن يدعي أنه عرف نفسه؟

ليس من باب التواضع أن نقول . . الله أعلم .

وإنما هي الحقيقة الوحيدة الأكيدة في الدنيا . . إننا نجهل كل الجهل حتى ما يجري تحت أسماعنا وأبصارنا .

وبرغم جهلنا يتعصب كل فريق لرأي . . وقد تصور كل واحد أنه امتلك الحق ، فراح ينصب المشانق والمحارق للآخرين .

ولو أدركنا جهلنا وقدرنا لا نفتح باب الرحمة والحب في قلوبنا ، ولأصبحت الحياة على الأرض جديرة بأن نحياها .

متى نعرف أنا لا نعرف؟!

أسأل الله عز وجل أن يهدي بهذه التبصرة خلقًا كثيرًا من عباده ، وأن يجعل فيها عونًا لعباده الصالحين المشتاقين ، وأن يثقل بفضله ورحمته بها يوم الحساب ميزاني ، وأن يجعلها من الأعمال التي لا ينقطع عني نفعها بعد أن أدرج في أكفاني . . .

وأنا سائل أخًا/ أختًا انتفع بشيء مما فيها أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين . . .

وعلى رب العالمين اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي .

•••

قراءة في كف التاريخ

وما أكثر ما نجد في كف التاريخ من خطوط وشقوق وندوب من آثار العجلات الحربية التي كان يركبها جنود أحمس من أكثر من خمسة آلاف عام حينما كان يطارد الهكسوس، وإلى جوار هذه الآثار نجد الأهرامات والمعابد الفرعونية بطول النيل حتى الكرنك وأبو سنبل، ونجد تماثيل رمسيس تقف في شموخ وعلى رأس الفرعون التاج وفي يده مفتاح الحياة.

وعلى الضفتين مقابر وبرديات وجداريات تحكي تاريخ المعارك والحروب وصراع الحضارات.. مصر وفارس والصين.. ثم يظهر الإسكندر المقدوني كالعاصفة ليغزو مصر ثم يأتي البطالمة والرومان.. ثم يرتدي الغزاة الرومان ثوب المسيحية لتكون لهم بابوية ورياسة وميراث في السماء، ثم يطلع فجر الإسلام من قلب الجزيرة العربية ومن جبالها الجرداء.. وفي غار حراء تتنزل إلى الدنيا كلمات ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 1-5] أمر بطلب العلم لكل الدنيا.. وأمر بالقراءة والتفكر والتدبر..

ويكتسح نور الدعوة الجديدة الأقطار الأربعة بشكل غير مسبوق، وتمتد الفتوحات الإسلامية من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي وشرقًا إلى

الهند والسند وشمالاً إلى التبت والمغول والصين وغربًا إلى الأندلس، ثم تدق على أبواب أوروبا، وتقف على عتبات فينا (مر الآن ألف وأربعمائة سنة بالتمام على دخول الإسلام مصر ولم تحتفل.. واحتفلنا بذكرى الحملة الفرنسية على بلادنا وهي استعمار شائن. أين عقولنا..؟!)

وجاء رد الغرب متأخرًا في موجات من الحروب الصليبية تنكسر الواحدة بعد الأخرى.. وآخرها ما رأينا في البوسنة وكوسوفو على يد الصرب، وفي الشيشان على يد الروس وفي فلسطين على يد إسرائيل.

أما الصليبية الجديدة فهي الصهيونية اليهودية المتحالفة مع الإنجيليين الأمريكان.

إنها الآن رأس الحربة التي تطعن الإسلام والمسلمين في كل مكان، من وراء ستار الأمم المتحدة والقطبية الأمريكية.. وهي التي تستعمل صدام حسين في العراق، وتستعمل العصابات الإرهابية في أفغانستان، وتستعمل الحقد الصربي في ألبانيا، وتحاول أن تستميل الأقباط في مصر، وتحاول أن تدمر البنية الاقتصادية في روسيا، وتحاول أن تنسف البناء المالي في الدول الآسيوية، وتضغط من وراء الكواليس على كل حكومة أوروبية لتحركها ضد المسلمين.

ودأبها دائمًا الفساد والإفساد...

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة: 64].

وما كانت الثورة الفرنسية في فرنسا والثورة الكمالية في تركيا والحرب العالمية الأولى في أوروبا والحرب العالمية الثانية بزعامة هتلر، إلا بمكرهم وتدبيرهم.. وهم دائمًا وراء كل الفتن والحروب.

وما كانت حروب أوروبا في القارة الأفريقية إلا صراعًا على المستعمرات وتقاتل على الغنائم.. وما كان صراع حضارات.. إنها الدنيا وعواء الذئاب على الرم.. كل ذئب يحاول أن يسبق الآخر إلى رمة أكبر وإلى ما تخبئه الأرض الأفريقية من معادن وخامات وذهب وماس ونيكل ونحاس.

وما كان بوكاسا وموبوتو وعيدي أمين إلا عملاء أفارقة ساعدوا بلجيكا وفرنسا وباقي فريق اللصوص على نهب بلادهم. إنها حروب مصالح، ويريد اليهود السيادة بأي ثمن.

وهم دائمًا حلفاء للأقوى.. ولهذا اختاروا لبس الدرع الأمريكية ليحاربوا بها العالم لأنها الدرع الأقوى.. وهم أصحاب البنوك وأصحاب البورصات وملوك الدولار وجهابذة الاقتصاد؛ لأن الاقتصاد الآن هو القوة المحركة والصوت الآمر الحاكم على الملايين.

والصراع الآن ليس صراع حضارات وإنما صراع بين هذه الجبهة الصهيونية الأمريكية وبين كل العالم؛ بهدف الرياسة والتسيد والتحكم وامتلاك مصائر الخلق وحصار الإسلام في كل مكان من الأرض.

هل يفرز العالم تكتلاً قويًا يواجه به هذا الحلف الصهيوني الأميركي؟!

لقد قرأنا أن روسيا أعادت نصب الصواريخ العابرة للقارات، واستأنفت تجاربها وأبحاثها لابتكار صواريخ أسرع وأقوى.

هل تستطيع روسيا أن تقف على قدميها وتنتصر على أزماتها وتعود كما كانت قوة مدوية.

هل تستطيع أن تتغلب على السوس الصهيوني الذي يأكل في بنيتها.

وماذا عن الصين.. المارد النائم..؟

إن زميلنا العزيز في الأهرام الدكتور أنور عبد الملك كان له مقال جميل حاول أن يقرأ فيه كف التاريخ ويتحسس المستقبل الرهيب الذي ينتظرنا.

وفي ختام مقاله كانت نبوءته أن سياسة هيمنة القطب الأمريكي الصهيوني الأوحد سوف تنتهي إلى الإفلاس، وأن إسرائيل لن تستطيع أن تعيش بتوكيل من أمريكا..

لا أمة تعيش بالتوكيل..

وهو نظر صادق...

ولكن المسألة لن تتوقف عند حد الإفلاس السياسي الأمريكي.. وإنما أمريكا ماضية في الإعداد لحرب عالمية قادمة في نظره.. ووزير الدفاع وليم كوهين أعلن أن بلاده قررت تمويل برنامج نظام الدفاع الصاروخي

الباليستي القومي الشهير باسم حرب النجوم بتكلفة أولية مقدارها 6.6 مليار دولار للسنوات الخمس القادمة . . مما سوف يؤدي إلى نسف معاهدة 1972 مع الاتحاد السوفيتي السابق المعروفة باسم المعاهدة المضادة لنظام التسليح الصاروخي الباليستي .

إننا نسير نحو حرب عالمية إذن .

هذه المرة حرب عالمية عظمى دمارها نووي وخرابها شامل .

والسؤال مع من تكون هذه الحرب وعلى من سوف تعلن . . وما هي الجبهة المواجهة في تقديره .

وهل روسيا في وضع يسمح بالدخول في مثل هذه الحرب .

وما هو تصوره لموقف الصين .

وهل تقوم هذه الحرب بطريق الخطأ . . أو بتعمد وتدبير .

أشك كثيرًا في هذا الاحتمال .

وأقرب إلى ظني حرب محدودة تقوم بها إسرائيل بمساندة أمريكا وتنتهي بهزيمتها . . هزيمة متوقعة . . حرب مكانها المنطقة العربية وإيران . . تدخل فيها روسيا والصين كأطراف غير مباشرة ومعونات مستترة ومواقف مؤيدة في المحافل الدولية .

ولا أتصور أن الإنسان يمكن أن تبلغ به الحماقة أن يدمر بيئته ويهدم بيته بحرب كبرى تتبادل فيها الدول الكبرى القصف النووي .

وأسلحة اليوم تقتل مئات الألوف في لحظة وتسوي مدنًا بالأرض .

والحرب الكونية جنون مطبق .

إنه كابوس .

ولا أجد مهربًا من هذه الرؤى الكابوسية إلا بأن أفتح كل نوافذ مخي على هواء متجدد . . على فن وشعر . . وحب . . وأمل . . وموسيقى . على روحانية . . وابتهال . . وصلوات . . تعالوا معي نستروح من هذا البحر الشعري . . .

الله . . الله . . يـا إلـــهـــي — يا خـيـر من خـاطبت شـفـاهي
يا مـــالـك الملك أنت ربي — ووجــهك الأكــرم اتجــاهي

فأنت حسبي وأنت جاهي . . .

كلمات رقيقة للشاعر إبراهيم صبري في كتابه . . ديوان البراءة . . والناشر دار مصر للطباعة .

يا واحـــدًا مـــا لـه شـــريك — وراحـــمًــا لطفــه وشـيــك
ســـألتك اللـطف يـا مليك — في غــفـلتي عنك وانتـبـاهي
فـــأنت حـــسبي وأنت جـاهي — يا فــاطر الأرض والســـمــاء
وممسك الطيـــر في الفـــضـــاء — أمــــسك عن النفس كل داء
وصن فـــؤادي عن النواهي — فـــأنت حـــسبي وأنت جـاهي

واسمعوا له يرد على تشاؤم المتنبي من نفس بحر قصيدته الدالية في حياء شديد وأدب :

ليس في ملتي ولا في اعتقادي	يستوي نائح وآخر شادي
وعجيب من قال إن صوت نعي	مثل صوت البشير في كل ناد
عجبًا كيف يستقيم وجود	يستوي الضد فيه بالأنداد
وإذا كل ما يعي غير مجد	وهباء مبعثر في رماد
وسدى ما يقول غاو وهادي	وإذا الكون إذ توهم لغو
بينما الكون لمحة من وجود	سرمدي العماء والأبعاد
فتعجب لمنطق من سحاب	حطه الوهم فوق سبع شداد

وفي نظم موسيقي جميل يقول من هذا البحر الراقص :

نعم جف الزمان وما جفوت	وأجدبت الحياة وما شكوت
ولكني زرعت الحب فيها	نشيدًا يانعًا أنى شدوت
وللشعراء أفئدة تغني	وأخيلة لها سمع وصوت
وبين جوانحي منهن وحي	إذا ما نمت وهنًا أو صحوت
نعم ولى الرفاق رفاق عمري	وظنوا بي هلاكًا إذ نجوت
وقد عبروا الحواجز فوق جسري	وليس لمثل ما عجلوا صبوت

وقد عانيت منهم ما أعاني	وما ودعت نهجي أو سلوت
وإن ولى زمان الحب فينا	وصُمّ الناس عما قد دعوت
وجفت روضة الدنيا جحودًا	ولم تدن المنى مهما دنوت
فقلبي لم يزل غضًا يغني	وفي الأرجاء بالأصداء صوت
نعم ساد البرية مكيافيللي	فكل رهطه أني رنوت
إذا كنت المريد غدوت مرًا	فإن كنت المراد فقد حلوت
وقد عمت أعاصير الخطايا	فليس لكائن منهن فوت
لزمت رحاب محرابي أصلي	فناداني من المحراب صوت
يحدّث أن ما أبغي مواف	فإن الله غاية ما رجوت

وفي بكائية رقيقة عن أحوالنا يقول :

وقف الخلق ينظرون إلينا	كيف هنّا وكل عز لدينا
كيف صرنا إلى الذي نحن فيه	وإلى أين يذهب الركب أين
قل أخي . . أين يذهب الركب أين	وطن من محيطه لخليجه
كل آلاء ربنا في نسيجه	أرضه . . عمقه . . سماه . . بروجه
خير ما في الوجود بعض أريجه	كم أضعنا خيراته من يدينا
واقترفنا في كل شرق وغرب	واتبعنا العدو في كل درب

ثم ضعنا في تيه خوف وسلب ... واختلفنا على سلام وحرب
وعلى ساحة الدمار التقينا ... في فلسطين . . في العراق وإيران
ولبنان يأكل البعض بعضًا ... وانتهينا لكننا ما انتهينا
لا تقل كيف أستفيق وأين ... عد إلى الله يا أخي وستغدو
فوق كل القوى وما قد أعدوا ... أنت بالله وحده تسترد
كل ما خلت أنه لا يرد ... فإلينا بنهج ربي إلينا

حتى شاعرنا الإلهي أصابته الكوابيس، فراح يكلم نفسه ويسأل روحه ويلتمس المعونة من ربه، ولم يستطع أن يهرب من نفسه ولا من عصره.

أين يستطيع الواحد منا أن يهرب من نفسه ومن عصره . . يبدو أن هذا قدرنا . .

ويبدو أن أخانا عبد الملك على حق في مخاوفه.

●●●

تحذير للكافة

مفاوضات السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل وصلت إلى مفترق طرق يؤذن بطلاق لا رجعة فيه وفراق لا لقاء بعده . . والمشكلة بدأت بمصطلحات جديدة اختلقها خيال المفاوض الإسرائيلي . . فلم يعد اليهود يتكلمون عن حائط المبكي والمسجد الأقصى، وإنما عن خرافة جديدة اسمها جبل الهيكل لا وجود لها إلا في أخيلتهم . . فلا جبل هناك . . وإنما هناك حائط المبكي والمسجد الأقصى الخاص بالمسلمين . .

وما حدث هو أن خيال اليهود رجع بهم إلى ألوف السنين في الماضي البعيد لمحو هذا الحاضر المؤلم الذي لا يعجبهم؛ حيث لم يكن هناك إلا جبل نحتوا منه الهيكل الذي أقاموه على أيام سليمان . . وهذا الهيكل الآن هو كائن خرافي لا وجود له في خيالهم . . أين هو؟!! إنه تحت الأرض ماذا . . ؟؟ تحت أرض المسجد الأقصى.

ومن الواضح أنه لا يمكن الوصول إلى هذا الهيكل الخرافي إلا بهدم المسجد الأقصى وانتزاعه من جذوره . . وبذلك خلقوا هدفًا جديدًا للاتفاق هو إزالة الموجود لإحياء ماضيهم.

وإذا كانوا لا يتكلمون عن هذه الإزالة صراحة . . إلا أنها أصبحت شرطًا مضمرًا في كلامهم . . فهم يتكلمون عن جبل الهيكل ولا جبل

هناك ولا هيكل . . والكلام تحـول إلى أحـلام شـرطيـة تملأ جـمـيـع تصريحاتهم .

والمفاوضات تحولت إلى تدليس وتلبيس وكهانة

والمطلوب أن تكون لدى الفلسطينيين مرونة . .

مرونة في ماذا؟ لم يبق إلا إحيـاء الكهـانات اليـهـودية على أنقـاض المقدسات الإسلامية .

ولم يبق للمفاوض الفلسطيني إلا قبول العدوان الصريح الذي وصل إلى شطب التاريخ الإسلامي كله وهدم المسجد الأقصى من أساسه .

واليهود يستندون إلى ظهيرهم المتين آل جور وإلى حبر الأحبار القادم جوزيف ليبرمان .

وهم ليسوا في عجلة من أمرهم . . ولا مانع من مط المحادثات وإطالة المجادلات ؛ فالوقت وقتهم والزمن زمنهم . .

والله يبتلي المسلمين بأعز ما أعطاهم . . تاريخهم ومقدساتهم .

ما المخرج؟!!

لا مخرج .

وعلى اليهود أن يتراجعوا غن هذا التدليس وإلا .

وإلا ماذا؟!!

إنهم لا يخشون بأس الفلسطينيين فلا بأس لهم . .

والسياسة العالمية الحالية هي التخويف من كل ما هو إسلامي واتهام الإسلام بكل نقيصة .

والإعلام والفضائيات الأجنبية تدمغ الإسلاميين بالإرهاب والعنف والعدوان، وتتحدث عن اليهود المعتدى عليهم المظلومين ضحايا الهولوكوست والمحرقة المساكين المجني عليهم من الجميع في إشفاق وتحسّر .

وفي هذا الجو المشحون بالأكاذيب والأضاليل تبدو الظروف مواتية لأبناء العم أكثر من أي وقت مضى . .

وفي هذا المسرح المعد سلفًا تتضح النية لذبح أضحية اسمها الحق العربي المأسوف على شبابه .

ولا يبقى للمسلم إلا إيمانه ويقينه بربه .

وهنا تكمن الحكمة الإلهية لكل ما يجرى .

إنه ابتلاء مثل ابتلاء إبراهيم عليه السلام قبل أن يُلقى به في النار، وامتحان القلوب إرادة رب العالمين لكل مسلم حاكمًا كان أو محكومًا، ولكن الحكومات العربية التي أفاء الله عليها من خيراته ومكنها مما هي فيه .

ولم يعد من الاختيار بد . . ولا مفر من اتخاذ موقف . . ولا مفر من اختيار طريق .

اختيار بين ذل وكرامة وبين عزة ووضاعة وبين الانتصار للحق أو الانتصار للباطل، بين الثقة بالله أو الثقة بالدولار، وبين إرضاء الصديق الأمريكي أو إرضاء الضمير العربي.

امتحان للكل بلا استثناء.

هل أنتم مسلمون حقًا..؟!

ومن ربكم..؟

وما حقيقة انتمائكم.. وما حقيقة إيمانكم.

ولن يفلت أحد من الفرز.

وسوف يخرج كل واحد وهو مدموغ بحقيقته موسوم بصفته إلى يوم الدينونة.

إنه مفترق الطرق الذي نلتقي به في كل لحظة اختيار لقرار نتخذه...

ولكنه مفترق طرق خطير هذه المرة.

والهروب من الاختيار مستحيل والخطأ قاتل.

وها نحن جميعًا نستوي في البلاء.. ولن نستوي في نتيجة الامتحان أبدًا.

ولن ينفع الغش ولن يجدي التحايل.

من أنت..؟!! أخرج بطاقتك.. وقل لنا مع أي فريق تحارب.

هذا ما سوف تقابل به ربك بلا رتوش وبلا مكياج.

والسلام الذي يحلم به الكل لن يحدث..

إنما هو مجرد تضييع وقت، وإدخال للمفاوض في متاهة من الدهاليز لكسب الأنصار والحلفاء؛ حتى تحين الفرصة التي يستطيع الخصم فيها أن يغافلك ويقطع رأسك.

هكذا.. كل دعاواهم للسلام تخدير وتنويم وإضاعة للوقت.

لكن الصدام قادم في الطريق.. والحرب واقعة.. وهم يريدونها حربًا دينية.. وإذا صدقوا في أنها دينية فإن الله وحده هو الذي سيضع توقيتها ويختار أبطالها.

هل تقرأ قرآنك.. أنت تعلم إذن أننا سندخل القدس وسندمر كل ما بنوا فيها وكل ما عمروا.. هكذا تقول سورة الإسراء.

والمعنى أنهم سوف يشيدون ويعمرون وسيكون لهم في القدس بقاء لأجل.

ثم تأتي الحالقة التي لا تذر فيها دارًا ولا ديارًا.

وصبرًا آل ياسر.

لن أقول.. فموعدكم الجنة.. فالجنة لا يدخلها المستسلمون المتواكلون، وإنما يدخلها الأبطال المناضلون الذين لا يقبلون الضيم ولا يساومون في المبادئ.

ولا أعني بهذا الصبر . . المعنى الشائع الذي تردده الأغاني . . لا أعني صبر الأحلام واسترخاء العزائم . . في انتظار الفرج الموهوم.

إنما أطالب بصبر الإعداد والاستعداد . .

صبر الفتوة واليقظة، لا صبر الاستجداء وطلب الصدقات . . .

صبر التدبير والتخطيط وشحذ الهمم، لا صبر المغلوب وانتظار المكتوب . .

ويا عطارين دلوني الصبر فين أراضيه . .

صبر الدول القادرة . . العظيمة في إمكاناتها . . لا صبر المتسولين على أبواب الأضرحة . . السائلين الرزق دون عمل .

نحن بضع عشرة دولة عربية . . لها صوت وتاريخ وحضور ومواقف .

وقديمًا أصدر الملك فيصل رحمه الله في حرب 73 قرارًا تاريخيًا غير به مسار الأحداث . . ونحن نوشك أن ندخل في مواجهة . . لا أقول ندخل . . بل أقول نُدفع دفعًا إلى مواجهة مصيرية يمكن أن تنسف التاريخ والجغرافيا للمنطقة كلها .

فأين عقولكم وفيم انتظاركم يا إخوة؟!

إنه ليس فنجان شاي عابر وثرثرة .

بل هي صيحة تحذير للكافة من عدو حقيقي له أطماع شرسة .

ولفت الأنظار إلى خطر جسيم سوف تنعكس نتائجه المدمرة على كل دولة عربية . . وفي المدى الزمني الأبعد سوف يمس استقلال كل كيان عربي . . بل اقتصاد وثروات كل دولة عربية في قطر الدائرة . . وسوف يؤثر في لقمة عيش كل مواطن . . وسوف يجلب معه أطماعًا جديدة تبحث عن أسواق، وتطلعات مادية تبحث عن غزوات، وعطشًا يبحث عن مصادر للمياه، وجوعًا يتلصص على مواطن الثروة .

وسوف يحرث هذا العدو الأرض من جديد؛ ليصنع طبقة موالية له ويشتري ذممًا ويبيع ذممًا، ويفسد الأرض بما لا يخطر على بال . . وسوف تتسع دائرة تهديده لتطول الكل . . وسوف يصنع كل هذا وهو قادر عليه .

إن الصهيونية دمرت النسيج الثقافي الأمريكي بل الأوروبي . . وهي على تدمير الدول العربية أقدر .

وانظروا إلى أثر الصهيونية في الإعلام والصحافة والسينما والإنترنت؛ حتى لعب الأطفال وأغاني الكباريهات .

وهي كالعادة تعمل في الخفاء وتستعمل أيدي الآخرين وعقولهم، وتستأجر القتلة واللصوص وعصابات المافيا لتصل إلى أغراضها .

وماذا يحدث للعالم إذا أنت سممت مجاري الماء وأفسدت الذمم والأذواق ولوثت الأفكار والمبادئ .

ماذا يبقى . . ؟!!

هل كان يخطر على بال أحد أن توجد في ألمانيا في يوم من الأيام أكثر من أربع محطات تليفزيون تجارية تذيع العملية الجنسية طوال الليل على الشباب . . ألمانيا بلد الوقار وعاصمة الموسيقى السيمفونية ومهد أوبرات فاجنر وموزار وباخ وبيتهوفن . . ألمانيا عاصمة الفكر والفلسفة والفن .

وما جرى لألمانيا جرى على تركيا وإيطاليا وفرنسا وهولندا وفنلندا وإنجلترا وأمريكا .

وفي الدنمارك الكوكايين والهيروين يباع على الأرصفة .

وفي بلجيكا دعارة الأطفال وخطف الأطفال . . والاتجار في الأطفال الآن مهنة رائجة لها زبون .

وفي أمريكا نوادي الشذوذ الجنسي ومافيا المخدرات هي موضة البهوات الشيك . . وفيها كنائس تزوج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة . . وفي أوروبا كنائس مثلية .

من كان وراء هذه الشبكة الأخطبوطية للفساد؟!!

اقرءوا بروتوكولات حكماء صهيون تجدوا الأصول التلمودية لكل هذا الإفساد بهدف القضاء على روسيا القيصرية ، وهدم العروش الأوروبية وإنهاء البابوية ، واستعمال الأمم والشعوب كحيوانات يركبها ويقودها الشعب المختار . . بهدف إبادة الحضارة وتفكيك الأمم والشعوب وتخريب المجتمعات ، ومحو الأديان وإقامة مملكة داود؛ ليكون دين موسى هو الدين الوحيد . . وليغدو ملك اليهود هو بابا العالم أجمع . .

وفي سبيل ذلك تُباح كل الجرائم وتُستحل الحرمات ويُفتى بقتل أي إنسان يقف في وجه هذا المخطط . . وتنفق الأموال الهائلة في تمويل هذه الشبكة العنكبوتية الهائلة التي تلتف حول جسد العالم كله .

وماذا بعد . . ؟!!

إن المعركة الكبرى والاشتباك النهائي مع هؤلاء الشياطين سوف يكون في قلب العالم القديم . . في القدس وما حولها . . وسوف نكتوي بنار الابتلاء الختامي . .

هل يقف العرب يتفرجون من أعلى التياترو وتخوض فلسطين الحرب وحدها .

وهل . .

وهل تحارب مصر وفلسطين وحيدتين . . .

إن الدمار لن يستثنى أحدًا ، والشرر المتطاير سوف يحول المنطقة إلى أتون .

هل تعطى مصر ظهرها للجحيم وتخلى مسئوليتها . . استحالة . . فالكل سوف يكتوي بالنار . . الداخلون فيها والهاربون منها . . لا مهرب . . ولا فرار . . .

حروب الإنسان مع الشياطين قدر إلهي لا مفر منه .

وهذا شرفنا الوحيد . . فكيف يهرب الإنسان من شرفه؟

لا توجد كراسي ألواح ولا بنوار يحجزها الإخوة المسالمون للفرجة المأمونة.

ولهواة الفروسية نقول هذا يومكم.. أرونا فروسيتكم.

ولهواة الصلح وتلفيق الحلول السلمية.. نقول لهم.. لن تكون هناك حلول سلمية.. انتهى الأمر.. افتحوا عيونكم على الواقع الخطير الذي يدبر لكم بليل..

إن الكل يقف لكم بالمرصاد.

اقرءوا قرآنكم واستمعوا إلى ما يقوله ربكم عن وعد الآخرة مخاطبًا اليهود في سورة الإسراء:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: 7] (منتصرين أيام عمر بن الخطاب) ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ (أي ليدمروا كل ما رفعتم من بنيان) الله يتكلم عن حرب قادمة ولا يتكلم عن مفاوضات، وإنما عن صدام حتمي.

وعن الميقات الذي أسماه ربنا وعد الآخرة يقول ربنا في أواخر سورة الإسراء لليهود بعد عبور البحر:

﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ [الإسراء: 104] وقد جاء ربنا بهم لفيفًا بالفعل، وجمعهم أشتاتًا من كل الأمم في إسرائيل.. فنحن إذن في الميقات.. والصدام وشيك.

لقد قضى ربنا بهزيمتهم وانتهى الأمر.

فكيف نتخلف عن هذا الشرف العظيم.

وهل منا من يستطيع أن يسبق أجله أو يتخلف عنه.. إن الموت كتاب ما أجمله من ختام...

وسعداء حقًا من يكون هذا ختامهم...

ولا أتعجل قضاء ولا أدعو إلى منازلة...

وإنما أهز الكراسي الوثيرة...

وأقول.. أفيقوا يا إخوة.. اجتمعوا.. تشاوروا.. فكروا في الاحتمالات.. انظروا إلى المستقبل.. أنتم مسئولون؟!! أليس كذلك؟. وكلنا مسئول.. فنحن جميعًا في قارب واحد تطوح به العواصف..

●●●

جيل الأمس

الإنسان يغني منذ بدء التاريخ، والحنجرة هي أول وتر ضرب عليه الفنان وأخرج منه أصواتًا، وتطورت الأصوات من تعبير بدائي إلى تعبير غني، وهكذا والحمار لا يملك إلا ثلاث أو أربع نغمات يرددها في كل مرة بدون تجديد، والكروان يملك من 7 - 16 نغمة رقيقة يبدل فيها بين الحين والآخر.

الإنسان يملك سلالم من النغم وتاريخ وحضارة تتبدل فيها وسائل التعبير، وأشكال النغم وأشكال الجمال في الصوت واللحن والرسم والعمارة وجيل الأمس عادي اليوم.. قبيح غداً.

حتى جمال المرأة تغير مقياسه، فالسمنة والبياض والجسم الطري المتراخي فقدت جاذبيتها، وأصبح الجمال رشاقة وغزلانية وبشرة لوحتها الشمس، وكان أجمل الصدور هو الصدر الناهد لأنه أصلح الصدور لإرضاع الطفل، وهذا يعني أن سر الجمال ليس في الشكل والخطوط والألوان، ولا في سلم الأنغم المجموعة التي يرددها المغنى، ولكن في الوظيفة التي تؤديها هذه الألحان بالنسبة لعقل المستمع ووجدانه. ولأن وجدان المستمع يتطور وعقله يتغير لا بد أن يتغير كل شيء..

هذه المقدمة ضرورية لأنني أحببت أن أبدأ بتصفية حسابي مع الغناء القديم ومقاييسه، وشطب كل محاولة تخضع الموسيقى لذوق الخلعي والحامولي وسلامة حجازي.

إن جمال الغناء القديم لا يتجاوز حدود جمال الأنتيكات، فالهرم جميل لكنه غير صالح للسكنى ولا للاستعمال، فكل ما هو قديم جميل داخل عصره؛ لأن وظائفه مربوطة بحاجات هذا العصر، وخارجه هو غريب ومتخلف، وإن اللحن مولود جديد مثل المولود الجديد، لحمه ودمه من أمه لكن شكله شيء آخر، وسلوكه نمط جديد في العائلة كلها.



الزمن

لا شيء يبعث على الحيرة أكثر من هذه الكلمة المبهمة الغامضة. . الزمان. . ما هو الزمان. . ؟

هناك زمان نتداوله في معاملاتنا ونعبر عنه بالساعة واليوم والشهر.

وهناك زمان نفساني داخلي يشعر به كل منا في دخيلة نفسه. .

والزمان الخارجي الذي نتداوله زمان مشترك. . نتحرك فيه كما يتحرك غيرنا. . نحن فيه مجرد حادثة من ملايين الحوادث. . ومرجعنا فيه تقويم خارجي. . أو نتيجة حائط.

أما الزمن الداخلي فهو زمن خاص. . لا يقبل القياس. . لأنه لا مرجع له سوى صاحبه. . وصاحبه يختلف في تقديره. . فهو يشعر به شعوراً غير متجانس. . لا توجد فيه لحظة تساوي اللحظة الأخرى. .

فهناك اللحظة المشرقة المليئة بالنشوة التي تحتوي على أقدار العمر كله. .

وهناك السنوات الطويلة الفارغة التي تمر رتيبة خاوية كأنها عدم. .

وهو زمن متصل في ديمومة شعورية وكأنه حضور أبدي، الماضي فيه يوجد كذكرى في الحاضر.

والمستقبل يولد كتطلع وتشوف في الحاضر، اللحظة الحاضرة هي كل شيء. . ونحن نتنقل من لحظة حاضرة إلى لحظة حاضرة. .

ولا ننتقل من ماضٍ إلى حاضر إلى مستقبل. .

نحن نعيش في حضور مستمر، نعيش شاخصين باستمرار إلى سيال من الحوادث ينهال أمام حواسنا. . لا نعرف في هذا الزمن الداخلي سوى «الآن»، ننتقل من «الآن» إلى «الآن»، ولا يبدو انقطاع النوم في هذه الأناة إلا كانقطاع وهمي ما يلبث أن تصله اليقظة.

هذا الزمن الذاتي النفسي ليس هو الزمن الذي يقصده أينشتين في نظريته النسبية.

إنه زمن برجسون، وسارتر، وهيدجر، وكير كجراد وسائر الفلاسفة الوجوديين (وهم يسمونه الزمن الوجودي) ولكنه ليس زمن أينشتين.

أما زمن أينشتين فهو الزمن الخارجي الموضوعي. . الزمن الذي نشترك فيه كأحداث ضمن الأحداث اللانهائية التي تجري في الكون. . الزمن الذي نتحرك بداخله. . وتتحرك الشمس بداخله. . وتتحرك كافة النجوم والكواكب.

وهو زمن له معادل موضوعي في نور النهار. . وانحراف الظل. . وظلمة الليل. . وحركات النجوم. . وهو الزمن الذي نتفاهم من خلاله ونأخذ المواعيد ونرتبط بالعقود ونتعهد بالالتزامات.

ماذا يقول أينشتين في هذا الزمان . . ؟

إنه يتناوله في نظريته النسبية بنفس الطريقة التي يتناول بها المكان.

المكان المطلق في النظرية النسبية لا وجود له . . إنه لا أكثر من تجريد ذهني خادع . .

المكان الحقيقي هو مقدار متغير يدل على وضع جسم بالنسبة لآخر . . ولأن الأجسام كلها متحركة فالمكان يصبح مرتبطًا بالزمان بالضرورة . . وفي تحديد وضع أي جسم يلزم أن نقول إنه موجود في المكان كذا في الوقت كذا . . لأنه في حركة دائمة.

وبهذا ينقلنا أينشتين في نظريته إلى الزمان ليشرح هذه الرابطة الوثيقة بين الزمان والمكان . . فيقول إنه حتى الزمان بالتعبير الدارج عبارة عن تعبير عن انتقالات رمزية في المكان.

الزمن المعروف باليوم والشهر والسنة ما هو إلا مصطلحات ترمز إلى دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس . . أو بشكل آخر «مصطلحات لأوضاع مختلفة في المكان».

الساعة هي دورة الأرض 15 درجة حول نفسها . .

واليوم هو دورة كاملة . .

والسنة هي التفافها الكامل حول الشمس . .

حتى الساعة التي نحملها في معصمنا عبارة عن انتقالات في المكان (انتقالات عقرب على ميناء دائري من رقم إلى رقم).

الزمان والمكان متصلان في حقيقة واحدة.

وينتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية فيقول:

إن كل الساعات التي نستخدمها على الأرض مضبوطة على النظام الشمسي . . لكن النظام الشمسي ليس هو النظام الوحيد في الكون . .

فلا يمكن أن نفرض تقويمها الزمني على الكون، ونعتبر الكميات التي نقيس بها كميات مطلقة منزلة.

فالإنسان الذي يسكن عطارد مثلاً . . سوف يجد للزمن دلالات مختلفة؛ إذ إن عطارد يدور حول نفسه في 88 يومًا . . وهو في هذه المدة نفسها يكون قد دار أيضًا حول الشمس . .

ومعنى هذا أن طول اليوم العطاردي يساوي طول السنة العطاردية . . وهو تقويم يختلف تمامًا عن تقويمنا.

وبذلك يكون الزمن مقدارًا لا معنى له إذا لم ينسب إلى النظام الذي اشتق منه.

ولا يمكن أن نفرض كلمة مثل «الآن» على الكون كله . .

فهي أولاً كلمة ذاتية نفسية . . وحتى إذا اقتصرنا على معناها الموضوعي وهو تواقت حدثين وحدوثهما معًا في ذات اللحظة . . فإن هذا التواقت لا يمكن أن يحدث بين أنظمة مختلفة لا اتصال بينها.

ويشرح أينشتين هذه النقطة وهي من أعمق تطبيقات النسبية وأكثرها غموضًا.. فيقول:

إن متكلمًا من نيويورك يمكن أن يخاطب في التليفون متكلمًا آخر في لندن.. ويكون الأول يتحدث في ساعة الغروب بينما الآخر في منتصف الليل..

ومع ذلك يمكن لنا أن نجزم بتواقت الحدثين وحدوثهما معًا في ذات اللحظة.. والسبب أن الحدثين يحدثان معًا على أرض واحدة خاضعة لتقويم واحد هو التقويم الشمسي.. ومن الممكن استنباط فروق التوقيت ورد هذه الآنية (الحدوث في آن واحد) إلى مرجعها.. وهو النظام الواحد..

أما القول بأنه من الممكن أن يحدث على الأرض.. وعلى كوكبه الجبار مثلاً.. أو الشعرى اليمانية.. أحداث متواقتة في آن واحد.. فهو أمر مستحيل.. لأنها أنظمة مختلفة لا اتصال بينها.. والاتصال الوحيد وهو الضوء يأخذ آلاف السنين لينتقل من واحد من هذه الأنظمة إلى الآخر..

ونحن حينما نرى أحد هذه النجوم ويخيل إلينا أننا نراه «الآن»؛ نحن في الحقيقة نراه عن طريق الضوء الذي ارتحل عنه منذ ألوف السنين ليصلنا..

نحن في الواقع نرى ماضيه ويخيل إلينا أننا حاضره.. وقد يكون في

الحاضر قد انفجر واختفى أو ارتحل بعيدًا خارج نطاق رؤيتنا.. وما نراه في الواقع إشارة إلى ماضٍ لم يعد له وجود بالمرة.

لا بد أولاً لكي نجزم «بالآنية» من أن نعرف العلاقات بين الحوادث والمجاميع الكونية.. ونعرف نسبية كل مقدار موجود في إحدى المجاميع إلى المقادير الموجودة في المجاميع الأخرى.. ولا بد من وجود وسيلة اتصال حاسمة تنقلنا عبر الأبعاد الفلكية الشاسعة.

ولكن للأسف أسرع وسيلة مواصلات كونية إلى الآن هي الضوء... وسرعته 186284 ميلاً في الثانية.. وهذه السرعة تمثل حدود معلوماتنا، والسقف الذي تنتهي عنده المعادلات والرياضيات النسبية الممكنة.

ويعود أينشتين فيشرح هذا الكلام بتجربة خيالية..

إنه يتصور شخصًا جالسًا على رصيف محطة في منتصف مسافة بين النقطتين أ، ب على شريط سكة حديد يجري عليه قطار.. ويتخيل أن ضربتين من البرق حدثتا في نفس الوقت وأنهما سقطتا على القضيب عند (أ) وعند (ب). وأن الشخص الجالس على الرصيف يراقب العملية مزودًا بمرايا جانبية عاكسة سوف يرى ضربتي البرق في وقت واحد فعلاً.

فإذا حدث وجاء قطار سريع متجهًا من (ب) إلى (أ) وكان على القطار شخص آخر مزودًا بمرايا عاكسة ليلاحظ ما يجري.. فهل يلاحظ أن ضربتي البرق حدثتا في وقت واحد في اللحظة التي يصبح فيها محاذيًا للملاحظ على الرصيف..؟

وليقرب أينشتين المثل إلى الذهن يفترض أن القطار يسير بسرعة الضوء فعلاً 186284 ميلاً في الثانية . . ومعنى هذا أن ضربة البرق (ب) التي تركها خلفه لن تلحق به ؛ لأنه يسير بنفس سرعة موجة الضوء . . وهو لهذا لن يرى إلا ضربة البرق (أ) .

فلو كانت سرعة القطار أقل من سرعة الضوء . . فإن ضربة البرق (ب) سوف تلحق بعده متأخرة . . بينما سيشاهد ضربة البرق (أ) قبلها . . وبذلك لن يرى الحدثين متواقتين في آن واحد .

وبهذا التناقض يشرح لنا أعمق ما في نظريته . . ما يسميه «نسبية الوقت الواحد» . . وكيف أن الإنسان لا يستطيع أن يطلق كلمة «الآن» على الكون . . وإنما يمكن أن يطلقها على نظامه الزمني . . لأن كل مجموعة من الأجسام لها زمنها الخاص ومرجعها الخاص . .

فإذا حدث وكانت هناك مجموعتان متحركتان . . كما في تجربة الملاحظ المتحرك على القطار . . والملاحظ الواقف على الرصيف . . فإننا نقع في التناقض إذا حاولنا المساواة بين الاثنين .

والنتيجة الهامة التي يخرج بها أينشتين من هذه التجربة . . أن الزمن مقدار متغير في الكون . . وأنه لا يوجد زمن واحد للكون كله ممتد من مبدأ الوجود والخليقة إلى الآن . . وإنما يوجد عديد من الأزمان . . كلها مقادير متغيرة لا يمكن نسبتها إلى بعضها إلا بالرجوع إلى أنظمتها

واكتشاف علاقة حوادثها بعضها بالبعض وتحقيق الاتصال بينها . وهذا مستحيل . . لسبب بسيط . .

أن أسرع المواصلات الكونية وهي الضوء . . لا تستطيع أن تحقق تواقتًا بين أطرافه . .

والنتيجة الثانية التي يخرج بها . . أنه بما أن سرعة الضوء هي الثابت الكوني الوحيد . . فينبغي تعديل الكميات التي نعبر بها عن الزمان والمكان في كل معادلاتنا لتتفق مع هذه الحقيقة الأساسية . .

ومن الآن فصاعدًا يصبح الزمان مقدارًا متغيرًا . . والمكان مقدارًا متغيرًا .

وهذا يلقي بنا إلى نتائج مدهشة . .



تحذير إلهي

أمريكا . . القطب الأوحد الذي يحكم العالم منفرداً . . وفي يده المعز وذهبه . . يحلو لها دائمًا أن تتكلم باسم العدالة وأن تصوغ أفعالها باسم الدفاع عن الضعفاء، ونصرة الديمقراطية ونجدة الشعوب المهضومة وحقوق الإنسان الضائعة . . ولكنا نرى التحيز والكيل بمكيالين والنظر بالعين الحمراء لواحد والتغاضي عن فظاعة وإجرام الآخر . . أحيانًا بدرجة فاضحة . . فهي تثور وتهدد إندونيسيا من أجل أن ترفع يدها وتطلق سراح شعب تيمور الشرقية (ذي الأغلبية المسيحية) المحتل من عشرين سنة، وتتعامى تمامًا عما تفعله إسرائيل في الشعب الفلسطيني المسلم من إذلال وطرد وإبادة ونهب للأرض منذ مائة سنة . . وتتعامى عن جيش روسي جرار يمطر شعب الشيشان المسلم بالصواريخ، ويدك بنيانه بالطائرات ويقتل المدنيين الأبرياء بالألوف، وتكتفي بلفت نظر لطيف خفيف . . وتقول مادلين أولبرايت إنها تنظر إلى روسيا نظرتها إلى صديق تعتز بصداقته . . يا سلام . . ترى لو ألقى الفلسطينيون قنبلة واحدة على إسرائيل أكانت تعلق بمثل هذا اللطف وتشيد بالصداقة بكل هذه الدماثة والدم الخفيف؟ والفلسطينيون عندهم عذرهم بعد إذلال وتجويع وطرد وقتل لمائة سنة . . مستحيل طبعًا . . فالعدالة المزعومة التي تحكم بها هي عدالة عمياء لا ترى إلا المصالح التي تهمها . . وعين أمريكا الآن على

بترول بحر قزوين وعلى تأمين خطوط نقله، وتريد إسكات هذا الشعب الذي تقوم به الشيشان، وترى أن ما تفعله في مصلحتها، وأن ما تقوم به الآلة الروسية الجهنمية بإبادة المسلمين سوف يعفيها من أعباء ثقيلة . . وتفضل السيدة أولبرايت أن يقوم بهذه العملية القذرة الأصدقاء الروس . . وهي تشيد بهذه الصداقة ولا شك فهي تعفيها من أمثال هذه المهمات .

وأين العدالة الأمريكية في تجويع الشعب العراقي وإذلاله وتدمير ثرواته وهدم مدنه وقتل أطفاله، ومطاردته بالعقوبات وبالجواسيس وبأمثال المفتش بتلر الذي يختلق له كل يوم تهمة جديدة .

إنه البترول مرة أخرى . .

وهو البترول العراقي هذه المرة، المطلوب أن يظل تحت التسعير الجبري إلى ما شاء الله .

إنها المصالح حينما ترتدي ثياب العدالة .

والمظالم حينما تأخذ شكل الضرورات السياسية .

وما دامت أمريكا هي أقوى الكل . . فمن يقف أمامها؟

ومن يسائلها وفي يدها سيف المعز وذهبه ودفتر الهبات والمعونات؟

أما صدام فقد استعملته أمريكا بما يكفي وجاء وقت الخلاص منه . . فلا مانع من أن تحرك المعارضة العراقية وتعاونها بالمال والسلاح . . ليكون

القضاء على صدام في صورة ديمقراطية مقبولة وفي شكل تصفيات يقوم بها أصحابها وأهلها دون أن تلوث يدها أو تشوب ضميرها شائبة . . وكلما اختلف الورثة على حكم العراق واقتتلوا كانت القلاقل والخلافات في صالحها، فالمطلوب أن يظل العراق ضعيفًا وتابعًا .

وإسرائيل ولا شك ستكون أسعد الناس بمحو العراق من خريطة القوى الفاعلة في المنطقة؛ فمعناها أنه لن يظهر بختنصر جديد ولن يتكرر السبي البابلي في تاريخ إسرائيل كما حدث في القديم .

وإسقاط الفاعلية العراقية سوف يخلّص إسرائيل من صداع يؤرقها، وسوف يطلق يدها باطمئنان أكثر وبحرية أكثر لتفسد في المنطقة كما تريد . . فلن يبقى من العرب إلا أهل السياسة والكياسة والقمة العربية العاجزة، وهي وإن اجتمعت لن تخرج منها إلا تصريحات وشعارات وخطب بليغة وقرارات لها طنين ورنين ولكنها لا تغير شيئًا .

هكذا تفكر إسرائيل . . وهكذا يفكر الأمريكان .

وهكذا يبدو الأمر في الظاهر من واقع الأوراق التي في أيدي اللاعبين المشتركين في لعبة الشرق الأوسط . . الولد يقش .

والولد الذكي هو باراك ومن ورائه بيريز ودهاقنة السياسة والمكر في إسرائيل .

فهل يصدق عليهم إبليس ظنه . . .

وهل تصدق البروتوكولات؟!!

وهل تتحقق آمال الصهاينة؟!!

لا أظن . . .

فـرغم أن هذا مـا يبـدو من واقع الأوراق التي في أيدي اللاعـبين الجالسين حول المائدة . . أن إسرائيل هي الفائزة في اللعبة لا محالة . . .

إلا أن هناك جوكر غير محسوب اسمه الغيب في الأعماق الإيمانية لكل مسلم . . فالمستقبل لا يمكن التنبؤ به على وجه التمام والكمال وإنما تظل هناك مساحة مجهولة لا يعلمها إلا عالم الغيب .

ولهذا ينتهي لاعب القمار إلى الإفلاس والخراب ويطلق الرصاص على رأسه رغم ذكائه، ويفاجأ بما لا يحتسب .

والمستقبل أكثر غموضًا من لعبة الكارت بما لا يقاس .

ولم يظهر العقل الذي يحيط بالمستقبل . . ولا الآلة التي تتنبأ به ولا تعلم نفس مـاذا تكسب غـدًا، ولا تعلم نفس بأي أرض تموت، وسيظل هذا التحدي الإلهي إلى قيام الساعة .

وسـينطبق هذا التـحـدي على دهاقنة إسـرائيل وعلى كـتـاب البروتوكولات، وعلى كل من يخطط لدمار العالم ويتصور أن خطته لن تخيب . . ففوق كل ذي علم عليم . . وخطة الماضي والحاضر والمستقبل في يد صانع الزمان وحده، وهو يمضي بها إلى حيث يريد هو . . لا إلى حيث نتمنى نحن .

ويستوي في ذلك كلام المسلمين عن المهدي المنتظر وكلام النصارى عن هرمجدون وكلام شعب إسرائيل عن ملك اليهود.. المسيح الحقيقي.. النازل من السماء ليقودهم إلى منصة الرياسة ومقعد الصدق ليدينوا العالم كله..

أحلام.. كلها أحلام وأماني.

ولن يفوز بمقعد الصدق إلا مقاتل من أهل الصدق، من أهل لا إله إلا الله.. الله أعلم به.. من هو.. ومتى يأتي.. وكيف يأتي؟

ولن نعلم أنه مهدي إلا حينما يهديه ربه إلى النصر؛ حتى هو لن يعلم أنه المهدي إلا ساعتها.

الصدام وحده هو الذي سيفرز هذا الرجل وليست الدعاوى والأحلام والأماني الوردية.

ودون هذا اليوم أهوال...

ولا نعلم أنعيش لنراه.. أم أنه لن يأتي في زماننا؟؟ ولكن أحداث التاريخ ترتب لظهوره، والمسرح السياسي يعد لمصادمات كبرى.

وأرجو أن نعي جيدًا التحذير الذي جاءنا في القرآن في سورة الممتحنة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: 1].

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 2]، ويتكرر التحذير في ختام السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: 13].

والكلام عن اليهود وعن بني إسرائيل، وينسحب على جميع مسميات التطبيع، يقول ربنا إن أي ثقة في هؤلاء الناس هي ثقة في غير محلها، وأي موالاة هي كارثة، وأي حلف هو نكبة، والله هو الذي خلقهم.. وهو أعلم بهم، والله يقول الحق وهو لا يخاف أحدًا، وليس مثلنا بحاجة إلى المداراة والدبلوماسية والبحث عن مبرر.

وعلى قياداتنا أن تعي هذا الكلام، فهو كلام رب العالمين الذي بيده مصائر الأمم والذي يعلم بداياتها ونهاياتها، والذي بيده مقاليد كل شيء، فهو المبدئ والمعيد بكلمة، وهو مالك يوم الدين ومالك عمارة الكون على اتساعها وخالق الزمان والمكان والأبد.

والذي يسألني عن.. متى.. متى يأتي نصر الله.. متى يكون ذلك اليوم؟ أقول له حينما يريد الله سوف يهيئ الظروف، وسوف يخلق الأسباب والمسببات، وسوف يلهم العقول والقيادات، وسوف يمكن لمن يريد فيما يريد، ولا يبدو هذا اليوم في الأفق المنظور القريب، فأمريكا في السماء وأبناء صهيون في حجرها والعرب في الحضيض وفلسطين في حضيض الحضيض.. ومسلمو العالم تحت القهر.

وإذا خرج علينا الآن من يدعي أنه المهدي المنتظر فنهايته المحتملة ستكون في مستشفى الأمراض العقلية . . فالفجر له لوائح . . ولم تظهر لوائح الفجر بعد .

ولكنا نعيش على أرض تدور . . ولا شيء يبقى على حاله . . الأقوياء لا تدوم لهم القوة، والأغنياء لا يدوم لهم الغنى . . ولا أمان لأحد في هذه الدنيا، وأين الفرس والروم والأمم التي كانت لا تغيب عنها الشمس، إن كأس الموت الدوارة لا تعفي أمة ولا تعفي فرداً .

واسم الله الرافع الخافض سيظل يرفع ويخفض كل الرؤوس وكل الهامات . . والتغير هو الناموس الوحيد الذي له الدوام .

ولا تستعجل لهم . هكذا نقول دائماً كما علمنا ربنا . . فنهايتهم في الطريق ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [الأحقاف : 35] .

وقل اعملوا . . اعملوا . . اعملوا . . كلمة وحيدة لكن فيها مفتاح كل الأبواب، والعمل هنا يعني معاني عديدة . . فهو يعني العمل السياسي بإقامة جبهة عربية واحدة يتوحد فيها الكيان العربي الممزق في وحدة عضوية تقتضيها المصلحة العاجلة والأخطار المحدقة بالكل . . ويعني العمل الاقتصادي بالتنمية الشاملة والتصنيع المتطور . . ويعني النهوض بالعسكرية العربية، وكسر احتكار السلاح وتنويع مصادره . .

وبالذات سلاح الصواريخ وكافة أنواع أسلحة الرمي من بُعد . . باعتباره سلاح المستقبل رقم واحد . . ويعني أيضًا . . عودة الروح . . لتنبض في كل مناحي الحياة . . الروح بمعنى العقيدة واليقين في النصر والتفاؤل والشجاعة والحماس البنّاء والإيمان بالله والثقة في النفس . . وكل هذا سوف يحتاج إلى إعلام مختلف وخطاب شبابي مختلف، ودعوة دينية مختلفة تخلو من الاستسلام والتواكل، وتبث الهمة والأمل في الأجيال الجديدة .

وكل هذا لا يمكن أن يتم في يوم وليلة، وإنما سوف يحتاج إلى مساحة زمنية . . ربما عشر سنوات أو أكثر . . شريطة أن تتغلب الحكومات الموجودة على أزمة الثقة الموجودة بينها وبين الإسلاميين . . ويصبح الكل جبهة واحدة، تناضل في خندق واحد وترمي عدواً واحداً . . أما حالة التوجس الموجود وسوء الظن المتبادل فلن يؤدي إلا إلى مزيد من الفاقد في الطاقة . . وفي الزمن . . وفي الهدف . . وفي النتيجة التي لن تكون إلا عدة أصفار، هذا إن لم تحدث النتيجة بالسالب تراجعًا وانهزامًا وضياعًا للمال والأرواح والأرض والمستقبل .

ويخطئ حكامنا إذا تصوروا أن إسرائيل ولدت لتكتفي بالرقعة المحدودة التي تقف عليها . . وأنها لا هدف لها سوى السلام ومهادنة جيرانها . . كذب ساسة إسرائيل في هذا وكذبت كل تصريحاتهم . . فما ولدت إسرائيل إلا لتغزو وتغزو وتغزو ما حولها، وتوسّع من رقعة

الأرض التي تملكها وتضاعف من المستوطنات التي تبنيها وتسيطر على الشرق الأوسط وعلى موارده وثرواته.

والعرب لا وجود لهم في قاموسها إلا بصفة كونهم أسواقًا لمنتجاتها وخدامًا لمشاريعها، وعملاء لمخططاتها وتابعين لأوامرها.. وقد اتخذت أمريكا حليفًا قويًا ليعينها على هذه الأهداف.

إنهم أعداء يا سادة.. بكل معاني العداوة، والله هو الذي يتكلم حينما يقول جل من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: 13].

والله هو الذي خلقهم، وهو الذي يعلم سرهم ونجواهم.. وحينما يقول.. هم أعداؤكم.. فإن قوله الحق.. فهذا تاريخهم يدل عليهم.. وهذا سجلهم يحكي عنهم.. من مبتدأ وعد بلفور المشئوم إلى هجراتهم العدوانية إلى فلسطين، إلى سلسلة المذابح الوحشية التي بدأت بمذبحة دير ياسين إلى حرب 1948 إلى حرب 1956 وحرب 1967 وحرب 1973، ومذبحة قانا الوحشية في لبنان:

ومن فجَّر الحرب الأهلية في لبنان؟؟.. ومن أجّج سعيرها وأشعل أوارها بين نصارى لبنان وبين مسلميها، ومن كان يوقد على نيرانها كلمة

خبت.. إنها إسرائيل وجواسيسها وعملاؤها وموسادها ورؤوس الفتنة من أحبارها.

ومن جلب الترسانة النووية والتهديد النووي إلى المنطقة..؟ إنها إسرائيل...

ومن قتل عالم الفيزياء الدكتور المشد..؟ إنه الموساد الإسرائيلي.

ومن قتل دكتورة الفيزياء النووية سميرة موسى..؟ إنه الموساد الإسرائيلي. ومن قتل الكونت برنادوت رسول السلام في فلسطين؟... إنه الإرهاب الإسرائيلي.

ومن فجّر البوينج المصرية بركابها؟؟؟.. مجرد سؤال؟ والشك طبيعي، بل هو أكثر من محتمل.

إن السجل يزداد كل يوم صفحة سوداء جديدة وعلامة استفهام جديدة وملف السوابق الإجرامية لا يؤذن بانتهاء.

إنهم يتحدثون عن السلام.. هذا صحيح.. وإسرائيل لا تكف عن التشدق بالسلام وحسن الجوار.. ولكن هل توقفت القنابل الإسرائيلية عن السقوط على جنوب لبنان؟ إنها ما زالت تقصف الجنوب اللبناني حتى الأمس.

وهل توقف القتل العشوائي لهذا الجار الحميم..؟ أبدًا.

وهل توقفت إسرائيل عن بناء المستوطنات واغتصاب المزيد من الأرض الفلسطينية كل يوم.. مطلقًا.

وهل توقفت عن تحديث أسلحتها ومضاعفتها..؟؟!.. بالمرة...

ماذا يمكن أن يكون شعور العرب وهم يرون أنهم محاطون بالتهديد من كل جانب بترسانة الرعب النووي..؟!!

وما هو المطلوب بالضبط.. سلام.. أم إذعان..؟!!

وكيف تخلق سيكولوجية الرعب سلامًا سوى سلام الأذلاء المرعوبين.. عن أي تطبيع يتحدثون..؟!!

وأي سلام يريدون؟

إنها جملة أكاذيب...

أفيقوا يا عرب من هذا الاسترخاء المترف، من قبل أن يؤذن المؤذن بنهايتكم... اجتمعوا على كلمة.. ولا تلهيكم دنياكم عن يوم الفصل.

إنها الآخرة.. على الأبواب...

والموعد الله.

•••

اقتربت الساعة

لم يكتف يهود إسرائيل بعمل نصب تذكاري للسفاح باروخ جولدشتين الذي قتل الركع السجود من المسلمين في صلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي، وحصدهم بالرشاش حصدًا وهم سجود.. لم يكتفوا بهذا الجرم، بل راحوا يوزعون صور هذا القاتل لتعلق في واجهات المحلات؛ إشادة ببطولته وتمجيدًا لاسمه؛ حتى يظل مثالاً حيًا للروح اليهودية التي لا تخبو وللثأر الذي لا يموت.. الثأر لمذبحة اليهود على يد المسلمين في خيبر.

وما كان يهود خيبر إلا عصابة من الخونة حفروا للمسلمين حفرة فوقعوا هم فيها.. وما كانت غزوة الأحزاب إلا من مكرهم وتدبيرهم.. وما زالوا يكيدون للمسلمين في كل مكان وفي كل مناسبة.. وما تكاد تبدأ مذبحة للمسلمين إلا ونجد إسرائيل تسابق للمشاركة فيها.. قاتل جنود إسرائيل مع الصرب لذبح المسلمين في البوسنة.. وقاتلوا معهم لاستئصال الوجود الإسلامي في كوسوفا.. وقاتلوا مع الروس لإبادة المسلمين في داغستان.. واليوم يقاتلون مع الروس في الشيشان..

وحيثما ارتفعت للمسلمين راية سارعت إسرائيل لتنكيسها..

وآخر استفزاز كان إنزالهم الخمور إسرائيلية في الأسواق عليها ملصقات وصور المسجد الأقصى والقدس والخليل.. والسخرية

بالمسلمين والاستهانة بشأنهم لا تفوت على المسلم المتأمل.. فهم يسخرون منا ومن شرائعنا ومن ديانتنا في كل مناسبة.

حسنًا.. لقد وصلتنا رسالتكم.. وعلمنا أن الجراح بيننا لن تندمل... وأن العداوة بيننا كتاب وقدر ومصير.. ولن نكذب على أنفسنا وندخل في تطبيع معكم أبدًا تحت أي شروط أو مواصفات.. فأي تطبيع بيننا هو تزييف سياسي لا نرضاه لأنفسنا، ولا ترضاه لنا أي قيادة ولا يملك أحد أن يكرهنا على عشرتكم..

والقضية في مجموعها لا تقبل التجزئة، فإذا كان الموقف العام لإسرائيل هو موقف عداوة والسياسة العامة هي سياسة تآمر والنية هي الإعداد للحرب.. فإنه لا يبقى لنا اختيار.. ولا نملك ونحن واقفون في حالة انتباه طول الوقت على أطراف أصابعنا.. وعلى الجانب الآخر من سيناء أسلحة الدمار الشامل مشرعة في وجوهنا.. لا نملك إلا رفض هذا التطبيع الكاذب.. فالتطبيع مع هذا الوضع أمر مستحيل.. والصداقة أمر أكثر استحالة.. وقبول هذا الوضع خيانة لا يقبلها أحد على نفسه.

ومحاولة الضغط علينا بالإرهاب النووي أو بالمكر الدبلوماسي أو بالحليف الأمريكي أو بقطع المعونات، سوف يزيد الهوة اتساعًا.. وكيف تتصور إسرائيل بعد هذا أن نجلس معًا لنقتسم ماء النيل أو لنعطيهم حصة من اقتصادنا أو نشركهم في صناعة أو تجارة أو مصلحة.. وزراعتنا في حاجة إلى كل قطرة ماء ومن ورائها سبعون مليون فم يريد أن يأكل

ويشرب، وتوشكى سوف تبلع في باطنها كل جرعات المياه الجوفية وكل فائض النيل المحجوز وراء السد، ثم تطلب المزيد.. وإسرائيل عندها فوائض المياه في تركيا وبينها وبين تركيا روابط وأحلاف وحساب مفتوح لن تتردد تركيا في أن تعطيها ما تشاء من حصة سوريا أو من حصة العراق.. فهي وتركيا تؤلفان معًا جبهة عسكرية في مواجهة عرب الشرق الأوسط جميعهم.. والعسكر الذين يحكمون تركيا هم من اليهود الدونمة.. وهم وإسرائيل أبناء عمومة يفكرون باستراتيجية واحدة.

إن المائدة تعد لوليمة كبرى يؤكل فيها العرب، وتؤكل أرضهم وثرواتهم وبلادهم ومصالحهم.. والمسرح يعد لهدم المسجد الأقصى وعبوات الديناميت مدفونة في السراديب ومجهزة للتفجير.. ولم يعد للعرب إلا خياران اثنان: أن يختاروا أن يكونوا مجرد كومبارس لهذه المعزوفة المشئومة التي سوف تنهي حياتهم.. أو أن يختاروا أن يكونوا أمة لها دور وصوت ومستقبل وكرامة.

وأضعف الإيمان أن يجتمعوا ويتداولوا ويتفقوا.. أما استمرار الغيبوبة وانتظار الفرج من الله.. فإن الله لن يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. وإذا هانوا على أنفسهم، فسيكونون عند الله أهون شأنًا.. وقد دالت من قبلهم أمم كانت أشد منهم قوة وابتلعت الأرض أقوامًا كانوا أشد بأسًا.. والله هو العزيز المستغني وهو يأخذهم بذنوبهم ويستبدل غيرهم ولا يبالي.

أيساوي حب الدنيا كل هذا الهوان؟ . . أتخافون الموت وكلكم موتى حتمًا ولم يعف من الموت مخلوق منذ بدء الخليقة . . وعدوكم الذي تخافون أكثر منكم خوفًا . . وأنتم سلالة الفراعين والعماليق وبقايا عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وأحفاد صلاح الدين الذي دوخ الصليبيين . . وبيبرس الذي هزم التتار وأحمس الذي غلب الهكسوس، وخالد بن الوليد الذي قهر الروم والفرس . . وغبار المعارك ما زالت له رائحة في الهواء وآثار العجلات الحربية لم يمحها الزمن بعد . . والتاريخ يتألق بأيامكم الزاهرة الباهرة . .

هل أصابكم الترف بالوهن وفتور الهمة فأصبحتم تؤثرون سلام الهوان والذل على حياة العزة والكرامة؟!

والله يستنهضكم ويقول لكم: ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: 35].

الله يشجعكم ويقول لكم أنتم الأعلون وأنا معكم فلا تستسلموا وتدعوا إلى سلام الذل والهوان . . فأنتم أهل المكانة والرتبة العليا وحملة الرسالة . . ولن أضيع أعمالكم.

﴿ **إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** ﴾ [محمد: 36].

هكذا يمضي القرآن في استنهاض همة المسلم ليقتلعه من مغريات

رحلة مصطفى محمود
نهاية الحضارة

الترف الذي غرق فيه ومن الوهن الذي أصابه ويغريه بالأجر ويؤكد له أن الله لن يضيعه . .

فأين أنتم من هذا النداء الإلهي؟

وأين أنتم من هذا الإعلام الرباني؟

بل هو أكثر من نداء وأكثر من إعلام . . فهو أمر يا سادة . .

وإذا كان الله أراد لكم هذا الامتحان . . فهل عندكم مهرب؟!! وهل يملك أحد أن يتخلف عن امتحان أمر به رب العالمين؟

لا والله لا مهرب . .

نحن مقبلون على صدام أكيد . . ولا أرى مخرجًا سوى أخذ الأهبة والاستعداد . . أجمعوا أمركم يا سادة ولتكن إيران طرفًا في الاجتماع المرتقب، فكلنا إخوة شيعة وسنة، ولنأخذ الأمر بالجدية الواجبة، فقضيتنا واحدة، وعدونا واحد، ومصيرنا واحد . .

تحدثوا في السلام ما شئتم . . ولكن لن يكون هناك سلام . . وليس عند إسرائيل إرادة سلام، وليس في نيتها أي سلام غير استسلامكم الكامل لمشيئتها . .

وإذا أجمعتم على موقف وجلستم معًا كإخوة، وكنتم يدًا واحدة وكلمة واحدة على تحرش إسرائيل فسوف تتغير أشياء كثيرة . . وقد تفكر إسرائيل مرتين قبل أن تمد يدها بعدوان . . فلا شيء يرد بأس اليهودي سوى خوفه

على حياته . . ولن يتمنى اليهودي الموت أبدًا كما يتمناه مسلم يتعشق الشهادة . . يخاطبهم الله في كتابه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : 94، 95].

الله يقول إنهم يعلمون ما قدمت أيديهم ويعلمون أنهم مجرمون فسقة ؛ ولهذا لا يتمنون لقاء الموت أبدًا فهم يعلمون أن الدنيا هي فرصتهم الوحيدة . . وأنه ليس بعد دنياهم إلا سوء المآل .

وهذه شهادة الله فيهم . . وهي الحق . . ولهذا تريد إسرائيل الخلاص من القرآن وأهله . . تريد أن تتخلص من هذه الوصمة وتمحوها إلى الأبد . . ولو استطاعت أن تغير وتبدل كلام الله لفعلت .

ولكنها لا تستطيع أن تغير كلمة ولا حرفًا قاله رب العالمين في قرآنه . . فهو الذي أنزل القرآن وتعهد بحفظه بنفسه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ (والضمير هنا عن الجمعية الأسمائية كلها) ﴿ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . .

تزول الدنيا كلها ولا يزول حرف أنزله رب العالمين .

وهذا قضاء قضاه رب العالمين وانتهى الأمر . .

يقول لإسرائيل في سورة الإسراء :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : 7].

أي أننا سندخل عليكم القدس التي اغتصبتموها ، وسندمر كل ما عمرتم وكل ما أنشأتم فيها ، ونعيدها عربية إسلامية كما بدأت .

والذي يقول هذا هو الله رب الأكوان كلها وخالقها وبارئها . . ولا يملك العرب مهما تخاذلوا ومهما استكانوا ومهما ضعفوا ومهما أماتت قلوبهم الدنيا إلا أن يهبوا راغمين وينتفضوا انتفاضة رجل واحد . . يعلم هذا كبارهم وصغارهم وحكامهم ومحكوموهم ؛ فالمتكلم هو الله ، الذي أقام الدنيا بحرف كن ويهدمها بحرف كن . . والذي تنشق بأمره السماوات وتمور الجبال وتتفجر البحار نارًا . . تقدس ربنا في عليائه . . لا يعجزه شيء . .

إن السلام حلم . . سراب . . خيال مسكر .

والكلام عن السلام أشبه بفراش وثير ناعم يحلو للكسالى أن يتقلبوا فيه ويتثاءبوا ، دون عجلة فلا داعي للعجلة ، فلن يحدث شيء ولا خطر هناك . . ولا مبرر للقلق ولا مسوغ للخوف ، فلنعد إلى نومنا ونترك الدنيا للديان .

وتتغير الخريطة ببطء ونحن نيام ، نصحو كل يوم على حدود جديدة . . ونقول في فتور . . نجتمع . . لا ضرورة لأن نجتمع . . نفكر في أن نجتمع . . ثم يحدث مع الوقت أسوأ شيء . . نتعود المهانة .

. . والمهانة . . هي اللحظة التي ينتظرها الخصم لينقض على خصمه بالضربة القاضية . .

وهم يصنعون لنا هذه المهانة على نار هادئة من مبدأ الأمر . . باغتصاب الأرض وطرد أصحابها وهدم بيوتهم . . ثم يقتحم السفاح باروخ جولدشتين المسجد في الفجر ويقتل ثلاثين من المصلين وهم سجود . . ثم يصبح بطلاً . . فماذا حدث بعد ذلك؟ . . كلام كثير . . وصياح . . وصراخ . . واحتجاج . . ثم لا شيء . . ثم تعود الحياة إلى حالها.

ويستفحل الظلم . .

ويتراكم الغل في القلوب . .

ويظن المستعمر الإسرائيلي أنه استطاع أن يروض الدابة العربية المغمى عليها، وأنه تغلب على جموحها.

ويكدس كل يوم أسلحة أكثر ودبابات أكثر وطائرات أكثر . . وأموالاً أكثر . . وأعوانًا أكثر . . ويطغى أكثر . . ويستعلي أكثر.

ولم يبق إلا قليل يا سادة وينفجر المرجل.

نجتمع . . لا نجتمع . . لا بد أن نجتمع . . ضروري أن نجتمع . . من الأفضل أن نجتمع . . لا مفر من أن نجتمع . . نقاطع والت ديزني . .

هناك وزير عربي كبير مساهم في والت ديزني . . لا نقاطع والت ديزني . . لا نجتمع . . نجتمع . . لا نجتمع . . ونوشك أن نبلغ النهاية . .

والله قدر هذه النهاية من الأزل وقدر هذا الامتحان . . فهل هناك مهرب؟!!

وهل يملك أحد أن يتخلف عن امتحان أمر به رب العالمين؟!

لا والله لا مهرب . . سوف ندخل هذا الصدام مختارين أو مرغمين . .

فقد أراد لنا الله ذات الشوكة.

والحكيم من أدرك هذا اليوم واستعد له.

وما نحن من هذا اليوم ببعيد.

استعدوا وأجمعوا أمركم يا عرب، هبوا من رقادكم يرحمكم الله، فإن دنياكم التي أترفتم فيها لا تساوي عند الله شيئًا . . وأنتم من جنات ربكم الوارفة على مرمى حجر . . بل على مرمى طلقة بندقية . .

أفيقوا . . وافتحوا عيونكم . . وافتحوا عقولكم . . وهبوا من هذا السبات الغليظ الذي أشرف بكم على التهلكة . . وثقوا بأنه لا مهرب . . وأنه ليس من الله بد . . .

●●●

لماذا الكوارث؟!

إن كل ما بالعالم من كوارث وأزمات ومحن وحروب ومجاعات ينبع من أصل واحد؛ هو أزمة الضمير الإنساني وما أصابه.

إن السماء لن تجود بالماء ولا الأرض بالحياة وأبناؤها يسفحون عليها الدم بغيًا وجوراً على بعضهم البعض، فخالق الأرض وما تثمر من غلات هو الله، وهو وحده الذي بيده مرفق المياه الذي ينساب من السماء، كما أن بيده تغوير المياه الجوفية التي تخرج من الأرض، وهو قد جعل الاجتهاد سببًا في الرزق، كما جعل الطاعة والتقوى والمحبة مؤهلات أكبر خطراً.. ولا شك أن الشرور والمحن التي تغرق الأرض يواكبها على الناحية الأخرى موجات الكفر والشرك والوثنية والتدهور الخلقي وتفكك الأسرة، وطغيان الظلم وغلبة الشهوات المادية على كل القيم والاعتبارات الدينية، في حين انحراف السلوك إلى مادية مسرفة، وراح الكل يتسابق إلى الكسب المادي والثراء العاجل على حساب جميع القيم الدينية.

وإذا كان ما يجرى في إثيوبيا بسبب القحط والجفاف من موت الملايين جوعًا وعطشًا يذيب الفؤاد حسرة وألمًا.. فإن ما جاء في تقرير لجنة المعونة البريطانية لإثيوبيا يستوقف النظر؛ فقد جاء في التقرير أن

المعونة لا تصل إلى المستحقين، وأنها تُمنع عن القرى التي بها ثوار، وأن هذه القرى تترك ليفترسها الجوع والعطش، بينما تذهب المعونة إلى الجيش وإلى القوات الحكومية، ويعلق التقرير على البذخ والملايين من الدولارات التي أنفقتها الحكومة في الاحتفال بأعياد الاشتراكية، وفي الولائم والمسيرات الشبابية والمهرجانات في أديس أبابا، بينما الفلاحون يموتون هم وبهائمهم جوعًا وعطشًا في القرى الإثيوبية، وهو كلام يقال في مواطن كثيرة ولدول كثيرة من العالم وليس لإثيوبيا وحدها.

إن الخير.. حتى الخير البحت الذي ينبع من الضمير لا يوزع بضمير، ويظل المبدأ هو نفس المبدأ.. أنا آكل وخصمي في الرأي يموت..

ماذا يُتوقع في عالم كهذا..

إن ما يجرى داخل الأسرة وداخل الوطن من مظالم يظهر مكبراً على مساحة العالم كله، ثم يعود فيظهر مترجمًا في أحداث وأزمات وحروب ومحن وأوبئة ومجاعات.

بل إن ما يجرى في ضمير الفرد من صراع، وما تسكن رأسه من خواطر وما تتنازعه من رغبات، هو السماح للمشكلة كلها.

وإذا كان البحر تلوث . . . فقد تلوث بنا نحن وبما أفرزناه فيه .

إن فضلات أفكارنا ورغباتنا هي التي صنعت كل هذا .

سمعت الرجل يلوم زوجته ويلقى على رأسها وعلى النساء أجمعين ما بالعالم من بؤس . . فهي لا ترضى ولا تشبع ولا تكف عن الطلب ، وهي كرباج لا يكف ينزل على ظهره ليجري ويهرول ويسعى ويكسب ويجمع ؛ ليضع ما جمع في أيديها لتجري هي بدورها إلى السوق لتنفق ما جمع ، وتطلب المزيد . . . ولا هامش لديها للاكتفاء .

●●●

الفهرس



- رحلتي من الشك الى الايمان
- الحب في زمن العواطف المستعارة
- حوارات مع ملحدين
- سر الصوفية الأعظم
- سفاحون عبر التاريخ
- عزازيل وحقيقة المس الشيطاني
- تجليات الموت بين الفلسفة والدين
- نهاية الحضارة
- رحّال في أرض الله
- الطريق الى الايمان



دار المجدد للنشر والتوزيع

النقال: 0550.96.31.07 / 0550.96.30.72 تليفاكس: 036.93.87.02

العنوان: 04 شارع بن شكريبو عبد العزيز (بجانب المحطة). سطيف 19000

ردمك (ISBN): 978-9947-38-095-6

رقم الإيداع القانوني(DL): السداسي الأول 2017



دار المجدد للنشر والتوزيع